الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون -تيارت-

كلية الآداب واللّغات

قسم: اللّغة العربية وآدابها

فرع: دراسات أدبية تخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـــ

الرؤية الاستشراقية لمسألة الفصحى والعامية

إعداد الطالب:

• أحمد بن عودة

إشراف الدكتورة:

• دنيا باقل

تمت مناقشتها بتاريخ :..... أمام اللجنة المكونة من:

د/ علي مداني..... رئيسا.

د/ دنيا باقل..... مشرفا ومقرّرا.

د/ جمال صالحي..... عضوا ومناقشا.

السنة الجامعية :

1442/1441 هـــ - / 2019م-2020م

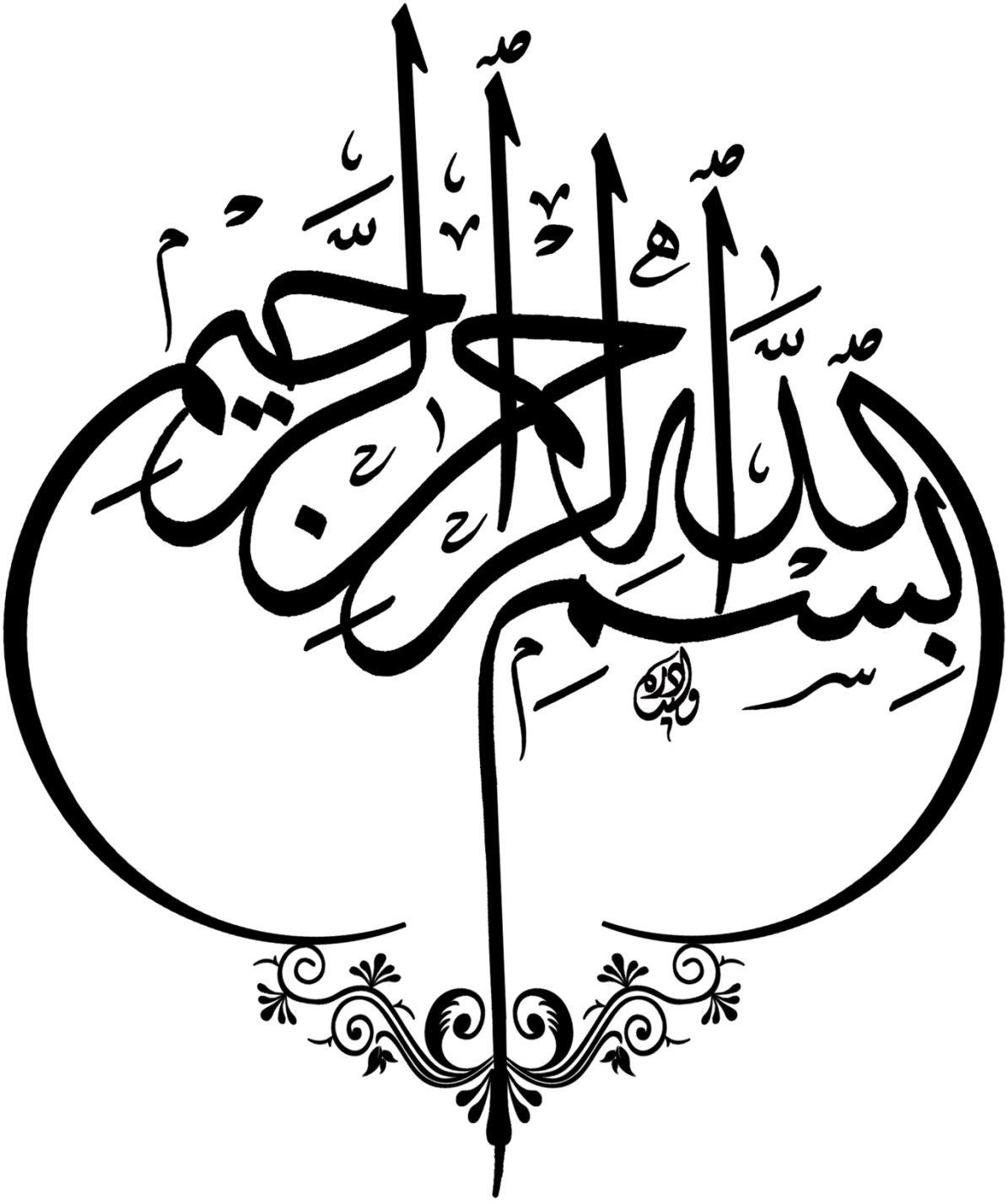
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لا بد منها

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾، [سورة البقرة، الآية: 32].

أولا نشكر الله سبحانه وتعالى على ما أسبغه علينا من نعم، فوهبنا العقل كي نستبصر به وسخره لنا لإنجاز هذا العمل، فله الحمد أولا وآخرا أما بعد :

نتوجه بالشكر والعرفان والتقدير إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة « دنيا باقل » لتفضلها بقبول الإشراف على هذه المذكرة، وعلى ما قدمته من نصائح وتوجيهات، مذلّلة بذلك كل الصعوبات التي اعترضتنا طوال مشوار هذا البحث، فلها منا جزيل الشكر والاحترام، ونسأل الله أن يجعل عملها هذا في ميزان حسناتها، وأن ينفعها به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما نسدي شكرنا إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذه المذكرة، فاقتطعوا بذلك من وقتهم الثمين في سبيل توجيه النصح لنا، وتدارك أي نقص في هذا البحث، فجزاهم الله كل خير، ولهم منا فائق الاحترام والتقدير.

كما نتقدم بالشكر كذلك إلى كافة أساتذة اللغة العربية وآدابها بجامعة ابن خلدون بتيارت عامة. وإلى من كان لهم الفضل علينا خاصة. ونخص منهم الأستاتذة الأفاضل: د/ ــ محمد مزيلط، د/ ــ رابح شريط، د/ ــ أحمد بالول الذين زودونا ببعض المراجع، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، وجعل سعيهم هذا في ميزان حسناتهم.

وإلى كل من قدم لنا يد العون من قريب أو من بعيد، فجزا الله عنا الجميع خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين.

إهداء

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾، [سورة الإسراء الآيات: 23، 24، 25].

فامتثالا لقوله عز وجل الذي جعل بعد عبادته وتوحيده وأنه لا معبود سواه، طاعة الوالدين تكريما وتعظيما لهما، أهدي هذا العمل المتواضع إلى والديَّ برًا، ووفاءً، وعرفانا.

ـ أبي وأمي حفظهما الله وأطال في عمرهما.

ـ إخوتي وأخواتي حفظهم الله وسدد خطاهم

ورحم الله من مات منهم.

ـ إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل ولو بكلمة طيبة.

ـ إلى كل ساع من أجل المحافظة على لغة الضاد.

أحمد

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يَهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّداً عَبدُه ورسُولُه، أما بعد :

يعتبر الاستشراق ظاهرة فكرية أدت دورًا بارزًا في الفكر الإنساني، قديمًا وحديثًا، حيث أوجدت لنفسها مكانةً في العالمين الغربي والشرقي، ولاسيما في الشرق الإسلامي، ففي الغرب لا يمكن لأحد أن يتحدث عن الشرق، أو يتناول أحد موضوعاته إلا ويجد نفسه مكبلاً بقيود الفكر الاستشراقي التي فرضت فرضًا.

أما في العالم العربي الإسلامي فلا يكاد المثقف يطلع على كتاب أو جريدة، أو شيء يتعلق بالثقافة، إلا وجد فيه معْلمًا من معالم الفكر الاستشراقي، سواءً تعلق الأمر باسم أو فكرة غربية بعينها، أو اسم وفكرة داعمة من أبناء الأمة العربية المولعين بالتغريب، وهذا أمر قد فرض نفسه، باعتبار أن الاستشراق هو جزء لا يتجزأ من الصراع الحضاري بين الأمة العربية الإسلامية والعالم الغربي.

والاستشراق مثَّل ولا يزال كذلك يُمثل العالم الغربي إلى يوم الناس هذا باعتباره مصدر معلوماته ومنطلق أبحاثه، وخصوصا إذا تعلق الأمر بالشرق الإسلامي، وهو كظاهرة قديمة قد تضاربت الآراء حول بداياتها الأولى، فهناك من يرجع ظهور الاستشراق الأول إلى ما قبل الميلاد، وآخرون يرون أنه ظهر مع ظهور الرسالة المحمدية، بينما هناك من يرى أنه واكب الفتوحات الإسلامية، وهناك من يربطه بالحملات الصليبية. ومهما تكن بداياته فإن الاستشراق حتى وإن لم يظهر كمصطلح قديم، إلا أنه وجد كممارسة، وهذا يعني أنه كمصطلح ظهر حديثًا، وعليه فقد تناوله أهل الاختصاص كمفهوم بنوعيه العام والخاص.

فإن كان الاستشراق بمفهومه العام يقصد به دراسة علوم الشرق، وكلّ ما يتعلق به من قضايا، فإنّ مفهومه الضيق أو الخاصّ هو عبارة عن أسلوب غربي يهدف إلى السيطرة على الشرق، ولاسيما الإسلامي منه، بغية إعادة بنائه وتوجيهه، ومن ثَم السيطرة عليه.

والحركة الاستشراقية حسب الكثير من النقاد كان لها دوران مهمّان، الدور الأول كان دفاعيّا، والثاني كان دورا هجوميا، فلما كانت الدول الغربية في حالة ضعف وانحطاط، وكان الشرق الإسلامي في أزهى أيامه على كافة الأصعدة حتى أنه وصلت جحافله فاتحة للكثير من الدول الغربية وجاورت بعض تخومها، فهنا لعب الاستشراق دور المدافع، وذلك من خلال الوقوف في وجه الشعوب التي لا تدين بدين الإسلام، وعلى وجه الخصوص الأوروبية منها ليمنعوهم من الدخول في دين الله الحق؛ الدين الإسلامي الذي داهمهم في عقر دارهم.

بينما لما قويت الدول الغربية واستغولت، لعب الاستشراق دور المهاجم، وذلك من خلال تطلعها لاحتلال الشرق والسيطرة عليه، ومن ثَم إعادة بنائه والتحكم فيه، وهذه الرغبة الغربية في السيطرة على العالم العربي الإسلامي، كانت ودون شك مدفوعة بدوافع حتمت وحفزت هؤلاء المستشرقين على بذل كل هذه الجهود بغية تحقيق الهدف المنشود.

وهذه الدوافع على الرغم من كثرتها وتداخلها مع بعضها البعض، فمنها ما هو ديني باعتبار أن الاستشراق بدأ بتوجيه وتحريض من الكنيسة، فكان قواده الأوائل أغلبهم من الرهبان والقساوسة، وهناك ما هو دافع سياسي استعماري يهدف إلى تحقيق التواجد الغربي على الأراضي الشرقية، ولاسيما العربية الإسلامية منها، كما كان الاستشراق مدفوعًا بالدافع الاقتصادي، وهذا بغية تحقيق التوسع التجاري للدول الغربية ونهب خيرات العالم الشرقي، بالإضافة إلى أن الاستشراق كان كذلك مدفوعًا بالدافع العلمي، وهذا لما يحمله العالم الشرقي من مميزات أسالت لعاب هؤلاء الغربيين، باعتبار أن الشرق كان مهداً للحضارات ومهبطًا للوحي والشرائع، ومنبعًا للثقافات ومختلف العلوم.

ومن أجل أن يصل الاستشراق إلى هدفه المنشود حسب ما أشار إليه النقاد، ألا وهو إعادة بناء الشرق والسيطرة عليه، خصوصًا في العصر الحديث، كان لزامًا على الاستشراق أن يجعل نصب عينيه الدافع الثقافي كهدف بارز بغية تحقيق مبتغياته، ولذا ركز المستشرقون عليه كثيرا، خاصة وأن الدول الغربية قد أخفقت عسكريا من أيام الحروب الصليبية، بل حتى في الاستعمار الحديث كما يقول أهل الاختصاص، وهو الأمر الذي جعل الدول الغربية تفكر في غزو العالم

الشرقي، وبالتحديد العربي الإسلامي ثقافيا، وذلك بغية النيل من الإسلام والمسلمين، ولاسيما لغتهم، وآدابهم، وتراثهم.

ومن بين ما دعت إليه الحركة الاستشراقية، أو بتعبير آخر أخطر ما تعرضت له الأمة العربية الإسلامية هو الدعوة إلى اتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبي، وإحلالها محل اللغة العربية الفصحى، وهذا أعنف انقلاب ثقافي، كما يقول العلماء، تعرضت له الأمة العربية الإسلامية، وكانت هذه الدعوة تهدف إلى تسهيل المهمة الاستعمارية، وتحقيق التبعية الثقافية، بل الانصهار الثقافي، وبالتالي إحداث القطيعة بين حاضر الأمة العربية الإسلامية وماضيها، وخصوصا ما تعلق باللغة العربية الفصحى والأدب.

وكما هو معروف أن الدول القوية لطالما فرضت تاريخها ولغتها على الدول الضعيفة، ولاسيما التي استعمرتها، وهذا الذي فعلته الدول الأوروبية الاستعمارية لأكثر الشعوب العربية الإسلامية في العصر الحديث، حيث فرضت عليها دراسة تاريخها ولغتها، إلا أن اللغة العربية الفصحى كانت ولا زالت محفوظة بحفظ القرآن الكريم، وهو ما حال دون زوالها وحلول اللغات الأوروبية مكانها، غير أن فكرة العامية المسمومة فعلت فعلتها على الأقل، حتى وإن لم تستطع إلى يوم الناس هذا، أن تزيل لغة كلام الله بالكامل.

إن الصراع الحضاري بين الغرب والشرق الإسلامي جعل فكر هذا الأخير، يعيش في صراع دائم من أجل التحرر من هيمنة الثقافات الأجنبية التي بثها الاستشراق من خلال شبهاته المسمومة، خاصة ما تعلق بالفلسفات اليونانية الوثنية وغيرها، حيث إن الاستشراق كان ولا زال وراء كل دعوة خطيرة في المجتمعات العربية الإسلامية في العصر الحديث، وما زاد الطين بلة هو عندما يلقي المستشرقون الشبهة، يتلقفها تلامذتهم المخلصون من أبناء الأمة العربية الإسلامية ممن تتلمذوا على أيديهم في الغرب، أو حتى في الشرق نفسه، حيث بلغ إخلاصهم وولعهم بهؤلاء المستشرقين حتى نفذوا تعاليمهم وخططهم بعناية تامة، وقد ظهر هذا الإخلاص والتنفيذ على أرض الواقع، مثل الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة للعلم والأدب من أبناء اللغة العربية أنفسهم، وعليه جرى بعض الأدباء والشعراء العرب وراء تلك الدعوات المسمومة التي أطلقها رينان ومرجليوث

وغيرهم، مثل اتهام العقلية العربية بالعجز، والتشكيك في التراث الأدبي وغيرها من الشُبه، والتي تبناها على التوالي كل من " الشابي " و " طه حسين " وغيرهم.

ولما كان الهدف الأسمى الذي سعى إليه الاستشراق في العصر الحديث، هو أن ينصهر الأدب العربي في مناهج الآداب الغربية وقوانينها، بغية عزله عن الأدب العربي الإسلامي، كان أن استقطب هذا الهدف رجال الفكر العربي الإسلامي، حيث اهتم هؤلاء المفكرون بكل ما كتبه أولئك المستشرقون عن الشرق الإسلامي، بسلبياته وإيجابياته، واهتمام المفكرين العرب كان يختلف باختلاف ثقافة كل مفكر منهم، واتجاهاته الفكرية، فكان منهم المعجب المؤيد دون سابق شرط، ومنهم الساخط المعارض الرافض للحركة الاستشراقية جملة وتفصيلا، وكان منهم المتريث الذي أنصف ما هو إيجابي ورفض ما هو سلبي مشبوه، إلا أن الأمر الذي لا يمكن إنكاره هو المكانة التي أوجدها الاستشراق لنفسه في العالم العربي الإسلامي، حيث أصبحت له تأثيراته سواء كانت إيجابية أم سلبية.

ولعله حينما يذكر الاستشراق فإن أول ما يتبادر للذهن، هو الكتاب الذي يحمل العنوان نفسه للمفكر الفلسطيني " إدوار سعيد "، والذي يعد نقطة تحول في البحث الأكاديمي حول المسألة، وهذا لسعة مادته وغزارتها وما جاء به الكتاب من مفاهيم جديدة فيما يخص العلاقة بين الشرق والغرب، والبحث في مجال الاستشراق سواء تعلق الأمر بشقه التاريخي أو السياسي أو المعرفي يشبه المغامرة في نصبها ومتعتها، وعليه قد ارتأينا أن يكون موضوع مذكرتنا هذه مزيجا بين الاستشراق والأدب، لذا كان موضوع بحثنا معنونا بـــ :

الرؤية الاستشراقية لمسألة الفصحى والعامية.

أسباب اختيار الموضوع :

هناك أسباب كثيرة دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، لعل على رأسها جاذبيته وإغراؤه، فهو يعتبر موضوعا جديا وقويا، لما له من جذور تمتد مئات السنين في تاريخ العلاقة بين العالم الغربي والعالم العربي الإسلامي، علاقة لطالما اتسمت بالحساسية من الجانبين منذ القدم إلى وقتنا الحاضر،

بالإضافة إلى أن هذا الموضوع يبحث في مناطق الالتقاء والتفريق بين حضارتين وثقافتين مختلفتين على كافة الأصعدة، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الحافز الذي دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو الرغبة في معرفة نظرة هؤلاء المستشرقين إلى التراث العربي ومدى تأثيرهم في الفكر العربي، وعليه فموضوع الاستشراق الآن يحتاج إلى حتمية المواجهة ودقة المحاورة، وتعاون الأمة على مواجهته وذلك من خلال العمل على إبعاد الشبهات والفتن عن حضارتنا العربية الإسلامية.

ومن الأسباب الأخرى كذلك التي حفزتنا على اختيار هذا الموضوع هو جدته وقلة البحث فيه، فعلى الرغم من كثرة عناوين البحوث الموسومة بالاستشراق، إلا أننا وفي حدود معرفتنا المتواضعة لم نصادف موضوعا جمع شتات مثل هكذا دراسة ــ الفصحى، العامية، الأدب العربي بشقيه القديم والحديث، الاستشراق، أي أننا لم نجد ربطا بين هذه المحاور تحت سقف بحث واحد.

وهذا يقودنا إلى طرح التساؤلات التالية :

ما الذي حمل المستشرقين على الاعتراض على اللغة الفصحى كسبيل للتعبير في مجالات الأدب والثقافة بوجه عام ؟ وهل خضعت تلك الاعتراضات إلى أساس علمي ؟ أم أنها نابعة من اعتبارات إيديولوجية ؟.

وما أوجه تأثيرها على النخب المثقفة العربية ؟ وما الآليات التي اعتمدها المستشرقون في سبيل تحقيق تلك المقاصد ؟.

بنية البحث :

وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها ، اقتضت هذه الدراسة أن نقسم البحث إلى : مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. **فالمقدمة** قمنا فيها بالتمهيد للموضوع بطريقة مختصرة، **بينما الفصل الأول** والذي كان معنونا بـــ : **الاستشراق، مفهومه، مساره، دوافعه وموضوعاته**، فتناولنا فيه الاستشراق بصفة عامة كعلم وكظاهرة حضارية ومعرفية في إطاره التاريخي، فبحثنا في مفهومه من حيث اللغة والاصطلاح بنوعيه العام والخاص، ثم مسار نشأته وأهم المراحل التي مرّ بها من

التكوين، مرورا بالتقدم، وصولا إلى الانطلاق، وكذا أهم الدوافع التي أوجدته، إضافة إلى المواضيع التي تناولها.

أما الفصل الثاني الذي وسمناه بـــ **: الفصحى والعامية في الأدب العربي الحديث من منظور استشراقي،** فقد تعرضنا فيه لمسألة الفصحى والعامية وذلك من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي لكليهما، إضافة إلى تاريخ الدعوة إلى العامية التي وضحنا فيها أول من دعا إلى اتخاذ العامية لغة للعلم والأدب على حساب الفصحى، وكذا أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث والذي تطرقنا فيه إلى النهضة العربية الحديثة وعواملها، واللغة العربية في ملف المستشرقين، بالإضافة إلى الأدب العربي الحديث في ملف المستشرقين.

أما الفصل الثالث كان يحمل عنوان : **الموقف العربي من الحركة الاستشراقية،** فقد خصصناه للمواقف العربية الثلاثة " المؤيد، والمعارض، والمنصف "، ففي الموقف المؤيد للحركة الاستشراقية وبعد ذكرنا لمجموعة من المثقفين العرب الذين صنفهم النقاد من أصحاب الرأي القابل والمادح للفكر الاستشراقي، قمنا بالاستدلال على ذلك من خلال ذكر بعض النماذج من داخل الوطن العربي والمقارنة بينها وبين أقوال بعض المستشرقين وأفكارهم، مثل التشكيك في العقلية العربية، ومنهج الشك، والصحافة العربية، وحركة الرفض في الأدب العربي الحديث، والتي رأى النقاد أنها كانت عوامل لتأييد الفكر الاستشراقي داخل القطر العربي الإسلامي.

كما تناولنا أيضا الموقف العربي المعارض للحركة الاستشراقية، وذلك من خلال ذكر بعض أقوال أصحاب هذا الموقف وحجتهم في رفض الفكر الاستشراقي بإيجابياته وسلبياته، أما الموقف المنصف الذي ذكرناه في هذا الفصل كذلك فهو ذلك الموقف الذي أنصف المستشرقين فيما هو إيجابي، وانتقدهم فيما هو سلبي. بينما كانت **الخاتمة** عبارة عن حوصلة لأهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها خلال رحلة البحث.

منهج البحث :

نظرا لطبيعة هذا البحث الذي جمع شتات مجموعة من المحاور تحت سقف واحد، تطلب الأمر منا أن نستعين بمجموعة من المناهج التي تتماشى مع طبيعة البحث، حيث فرض علينا أن نستعين بالمنهج التاريخي الذي يتلاءم مع ظروف تتبع الظاهرة الاستشراقية، وذلك من خلال ذكرنا لمسارها من الإرهاصات إلى الاكتمال، مرورا بمراحلها المختلفة من التكوين إلى التقدم وصولا إلى الانطلاق، مع تتبع مختلف دوافعه التي دفعته إلى الاهتمام ببعض المواضيع الشرقية، وكذا تاريخ الدعوة إلى العامية وذلك من خلال إبراز أول من دعا إليها وفي أي سنة.

ومن المناهج التي اعتمدنا عليها كأدوات إجرائية مساعدة، المنهج التحليلي الوصفي وذلك من خلال وصف الظاهرة الاستشراقية وصفا موضوعيا من خلال الحقائق والمعلومات، ومن ثَم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها بغية الوصول إلى نتائج مقبولة، بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي بيّنا من خلاله كيف قارن العلماء المتخصصون بين اللغة الفصحى والعامية في المجال الأدبي والعلمي وعلو شأن الأولى باعتبارها لغة العلم والأدب، كما اعتمدنا كذلك المنهج التقابلي من خلال بعض الأقوال لأدباء وشعراء عرب وما يقابلها من أقوال مماثلة لأدباء وشعراء من الغرب.

الدراسات السابقة :

قد أشرنا سابقا أننا لم نجد دراسة تحدثت عن هذه المحاور التي تناولناها مجتمعة في موضوع واحد، غير أن هناك بعض الدراسات التي تناولت بعضًا من هذه المحاور منفردة مثل: بحث صالح الدين ملفوف " من قضايا الأدب العربي الحديث في الاستشراق المعاصر "، وبحث شنوفي بارودي الموسوم بـــ " الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم « رجيش بلاشير أنموذجا » "، وكذا بحث بلجيلالي مريم " أثر العامية في الوسط التعليمي الطور الابتدائي ــ أنموذجا ــ "، وكذا دراسة بن كلثوم عائشة " أثر الاستشراق في النهضة الأدبية الحديثة « طه حسين » أنموذجا ".

مصادر البحث :

لقد كانت المصادر والمراجع التي رجعنا إليها متنوعة بتنوع القضايا المتصلة بالموضوع، ولكن هناك بعض المصادر تكرر ذكرها حيث رجعنا إليها في عدة مناسبات مثل : كتاب " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر " لمؤلفه " أحمد سمايلوفتش "، وكذا كتاب " الاستشراق " للمفكر الفلسطيني " إدوار سعيد " الذي اعتبره النقاد نقطة فارقة في مسارات الدراسات الاستشراقية، بالإضافة إلى كتاب " أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار) لصاحبه " عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني "، ومجموعة من المؤلفات للمفكر " أنور الجندي " مثل " خصائص الأدب العربي ، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، محاكمة فكر طه حسين، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ".

أهداف البحث :

كان الهدف من هذا البحث هو الرغبة في تقديم دراسة نافعة في مجال الحقل الأدبي، وذلك بغية تحقيق مجموعة من الأهداف منها :

* محاولة تبيان خصائص الحركة الاستشراقية وهذا لارتباطها بالتبشير والاستعمار.

* التعرف على أهمية اللغة العربية الفصحى ومكانتها المتميزة بين لغات العالم.

* التعرف على تحديات اللغة الفصحى في العصر الحديث.

* محاولة قراءة الأدب العربي سواء القديم أو الحديث بعيون غربية.

* محاولة الوقوف على بعض القضايا الأدبية التي أثارها الاستشراق، وذلك من خلال الإتيان بالرأي والرأي الآخر.

* دفع الباحثين للاهتمام بالأدب المحلي بدلا من الوقوف وقوف المتفرج.

صعوبات البحث :

صعوبات كثيرة اعترضتنا في مشوار هذا البحث، لعل أهمها قلة الدراسات التي تناولت الموضوع، فإذا كانت هناك الكثير من الدراسات التي اعتنت بالبحث في الاستشراق من شقه الديني في تعامله مع القرآن والسنة النبوية الشريفة، فإن الشق المتعلق بعلاقة الاستشراق بالأدب العربي الحديث قليلة، وهو الأمر الذي حتم علينا جمع شتات هذه المحاور من مصادر مختلفة، إضافة إلى شمولية الموضوع الذي جمع الأدب العربي بشقيه القديم والحديث إضافة إلى الفصحى والعامية والاستشراق، وهو ما صعب من مأمورية إيجاد خطة تحيط بكل محاور هذه الدراسة.

غير أننا لم ندخر أي جهد في سبيل أن يكون هذا البحث في الصورة التي يتطلبها البحث العلمي، من الناحيتين العلمية والمنهجية.

وفي ختام هذا البحث، ومصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم « **مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ** »، نتقدم بشكرنا الخالص إلى أستاذتنا الفاضلة " **دنيا باقل** " التي رافقت هذا البحث من بدايته إلى نهايته، ناصحة وموجهة ومذلّلة للكثير من الصعوبات، فكانت بذلك عونا لنا في إنجاز هذا البحث، فجزاها الله عنا خير الجزاء، وجعل عملها هذا في ميزان حسناتها، وغفر لها ولوالديها.

كما نسدي شكرنا الخالص لأعضاء لجنة المناقشة الأساتذة الأفاضل، الذين تجشموا جهد قراءة هذا البحث المتواضع لمناقشته وتقييمه وإبداء وجهة نظرهم فيه، علّنا نوفق في استدراك ما وقعنا فيه من أخطاء، ونعدهم صادقين أن نعمل بتوجيهاتهم مستقبلا إن شاء الله.

ونحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا، وتذليله للصعوبات التي اعترضتنا خلال مسيرتنا في هذا البحث، كما نسأله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، والفضل لله أولا وآخرا، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله وصحبه أجمعين.

تيارت في: 18 من محرم 1442ه / الموافق لـــ: 05 من سبتمبر 2020م.

الطالب : أحمد بن عودة.

الفصل الأول

الاستشراق، مفهومه، مساره، دوافعه وموضوعاته

1 _ مفهوم الاستشراق

2 _ الاستشراق من الإرهاصات إلى الاكتمال

3 _ دوافع الاستشراق

4 _ مواضيع الدراسات الاستشراقية

توطئة :

يعتبر الاستشراق كظاهرة ولدت ونمت منذ قرون عديدة ومديدة، وهذا بحسب الاختلاف الحاصل في تحديد بداياته الأولى، والاستشراق كظاهرة تحكمت في نشأتها ظروف معينة، ومرحلة خاصة من تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب، ومردُّ ذلك أننا نتحدث عن تراث أمة، قامت بالبحث فيه أمة أخرى؛ أي التراث الشرقي ولا سيما العربي الإسلامي الذي بحثة فيه الأمة الغربية بواسطة مستشرقيها، و لم يكتفوا بمجرد البحث فقط، بل قاموا _ المستشرقون _ حتى بالتحقيق والتدقيق والتحليل، متجاوزين ذلك حتى إلى حد التعقيب والإضافة.

والثقافة العربية الإسلامية وما قدمته من عطاء في جميع النواحي والميادين، ولاسيما في عصرها الذهبي المتمثل في الحضارة الإسلامية في الأندلس، حيث كان لها انفتاح واسع على جميع الثقافات الإنسانية الأخرى، من خلال تلاقحها معها؛ إلا أنها تعرضت لهجمات ظالمة وغاشمة، شنها أناس تحت مظلة البحث والتأليف، حيث كان ظاهر هذا البحث خدمة العلم والمعرفة، وباطنه ضرب كل ماله صلة بالتراث العربي الإسلامي، من تحريف، وتزييف، وادعاءات، وافتراءات وغيرها.

وهذا كله تحت غطاء الاستشراق الذي يعتبر" ظاهرة ثقافية ومعرفية تغذيها عواطف اكتشاف ذلك المجهول الغامض المحاط بالرموز التي لا تقرأ أحرفها بسهولة، وهو ذلك المجهول في أعماق النفس الأوروبية ليس هو مجرد كيان جغرافي بعيد، ولو كان الأمر كذلك لتطلعت النفس إلى استكشاف ذلك المجهول الجغرافي "[1]، غير أن هدف الغربيين من وراء التستر تحت دراسة الشرق، ما هو في الواقع إلا غطاء للهدف الأساسي، الذي يكمن في دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، لتحقيق أهداف تبشيرية من جهة، وأغراض استعمارية من جهة ثانية، ثم إعداد خطة

[1] _ محمد فاروق النبهان، الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، دط، الرباط _ المملكة المغربية، 1433ه، 2012م، ص07.

لأجل محاربة الإسلام وتحطيم أمته، ومن ثَمّ الهيمنة على لغتها وفكرها، وتاريخها، وتوجهاتها حاضرا ومستقبلا، وبتعبير آخر: " لم يدرس المستشرقون الفقه الإسلامي، ذا التاريخ والتقليد العريقين، بل إنهم في الواقع قاموا بإعادة تشكيله "[1].

وهذا يعني أن جل أهداف الاستشراق، وما أثار من مواضيع، دارت حولها بحوثه، كانت تهدف في المقام الأول إلى إعادة بناء الشرق، ومن ثَم السيطرة عليه وتوجيهه في المستقبل، ولذا عُد الاستشراق ظاهرة رسمت حدودا بين الشرق والغرب. فما معنى الاستشراق؟ وللإجابة على هذا السؤال كان من الضروري أن نتطرق في هذا الفصل إلى مفهوم الاستشراق بنوعيه العام والخاص، وكذا نشأته والمراحل التي مرَّ بها، وأهم دوافعه ومواضيعه.

1_مفهوم الاستشراق :

قبل التطرق إلى ماهية الاستشراق والتعريف به، لابأس بأن نُعرف بالتحديد اللغوي للاستشراق.

1_1 الاستشراق لغة :

الاستشراق مشتق من الفعل الثلاثي" ش،ر،ق "، وهو كلمة مركبة من الشرق، أضيفت لها الحروف الزائدة وهي: الهمزة والسين والتاء " أ،س،ت "، فأصبحت استشراق على وزن "استفعال "، وهي مؤلفة من مقطعين: الأول "است" والثاني " شرق "، ولفظة " است " تعني في اللغة العربية إظهار وإبراز ما كان خفيا، أو طلب الشيء بإلحاح، وحين أضيفت لها كلمة "شرق" أصبحت تعني إظهار وإبراز وطلب بإلحاح ما كان موجودا في بلاد الشرق.وقد وردت كلمة "الشرق" في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾، [سورةالحجر،

[1]_ ضياء الدين ساردار، الاستشراق (صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية)، تر: فخري صالح، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة)، ط01، أبو ظبي، 1433ه، 2012م، ص30.

الآية:73]، وفي قوله تعالى:﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾،[سورة الزمر، الآية:69]،

يقول " ابن كثير(ت774ه) " في تفسير الآية الأولى:" وهي ما جاء هم من الصوت القاصف عند شروق الشمس وطلوعها "[1]، بينما فسر الآية الثانية بقوله:" أي أضاءت يوم القيامة "[2].

وجاء في كتاب العين " للفراهيدي (ت 170ه/786م) " في باب الشين: " والشَّرْقُ خِلافُ الغرْبِ، والشُّروقُ كالطُّلُوعِ، وشَرَقَ يَشرُقُ شُروقًا، ويقال لكلِّ شَيءٍ طَلَعَ من قِبَلِ المشْرِقِ... والشرقيّ من الأرضِ والشَّجَرِ ما تطلُعُ عليه الشَّمسُ من لدن شروقها إلى نصفِ النهار، فإذا تَجاوَزَ فهو الغربيّ... وأشرَقَ وجْهُ فلانٍ أي تلألأ حسنًا من الفَرَحِ والجمال... وأشرق القومُ: صاروا في وقتِ شروق الشمس "[3]، فالشرق بهذا هو عكس الغرب، وهو كل ما تطلع عليه الشمس من لدن مشرقها.

بينما نجد الشرق في لسان العرب في مادة شرق: " شَرَقَت الشمسُ تَشْرقُ شُروقاً وشَرَقًا: طلعت، واسم الموضع المَشْرِق... وفي حديث ابن عباس: نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس. يقال: شرقت الشمسُ إذا طلعت، وأشْرَقَت إذا أضاءت... والشَّرق، بسكون الراء، المكان الذي تَشْرُق فيه الشمس "[4].

فمن خلال التعاريف السالفة الذكر، يلاحظ أن لفظة الشرق هو المكان الذي تطلع منه الشمس وهو مكان محدد، كما أنه توجد علاقة بين التعريف اللغوي والآية القرآنية الكريمة وهي

---

[1]_ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، دار الإمام مالك، ط2 باب الواد _ الجزائر، 1430ه، 2009م، ص818.

[2]_ المصدر نفسه، ج4، ص94.

[3]_ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت _ لبنان، 1424ه، 2003م ، ص326،327.

[4]_ أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، مج10، دار صادر، دط، بيروت، دت، ص173، 175.

الإضاءة، فكما أن الآية تعني الإضاءة يوم القيامة كما فسرها " ابن كثير "، فكذلك الشمس في الدنيا إذا أشرقت أي: طلعت وأضاءت.

1_2: الاستشراق اصطلاحا :

لم يظهر الاستشراق كمصطلح قديما، ولكن هذا لا ينفي أنه قد وجد كممارسة، قبل أن يتم الوعي به ويحدد قي إطار يسمى مصطلح الاستشراق، وللاستشراق عدة مفاهيم بعضها عام والأخر خاص.

2_1: المفهوم العام للاستشراق :

1_1 : عند نقاد العرب :

يقصد بالمفهوم العام للاستشراق، ما تداوله عامة الباحثين حول ماهية الاستشراق، ولهذا الوجود الكثير من التعريفات التي دبجت حوله والتي لا تنتهي، فالمفكر " إدوار سعيد " قد أعطى عدة تعريفات لمصطلح الاستشراق وعنى بها عدة أمور، حيث إنه بدأ بأيسر التعريفات المقبولة للاستشراق على: " أنه مبحث أكاديمي "[1]، فالاستشراق عند " إدوار سعيد " حسب هذا المفهوم، موضوع بحثي أو مجال علمي أو معرفي، يتعلق بالشرق وهو مفهوم عام.

أما " أحمد حسن الزيات " فيرى أن المراد: " بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره "[2]، وهذا حسب رأيه على خلاف ما كان عليه في العصور الوسيطة، حيث كان: " يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة

[1]_ إدوار سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006م، ص44.

[2]_ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي (للمدارس الثانوية والعليا)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، دط، القاهرة، دت، ص512.

العربية لعلاقتها بالعلم "[1]، أي أن الشرق في تلك الفترة كان مشعاً بالعلم وأضواء المدنية والازدهار في شتى الميادين، على عكس ما كان عليه الغرب من ظلام وجهل وتخلف، حيث كانت ثقافته ممثلة في حصون الأمراء المنغمسين في غياهب الظلم، وبعض قشور العلم، كما يقول "الزيات" الموزعة على بعض الرهبان.

وهناك من يرى أن مصطلح الاستشراق أطلقه من لا ينتمي إلى الحضارة الشرقية، وذلك على كل دراسة تعلقت بالشرقيين: " شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية وبلدانهم، وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز وخيرات، وحضارتهم وكلّ ما يتعلّق بهم "[2]، وكان الهدف من هذا المفهوم العام الذي أطلقه الغربيين بغية التعميم، أي كل شيء شمل الشرقيين والشرق مسلمين أو غير مسلمين، وهذا كغطاء للهدف الأساسي الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، حسب رأي صاحب التعريف الذي يراه خدمة للتبشير من جهة، ولأغراض استعمارية من جهة أخرى.

ويذهب " محمد فاروق النبهان " إلى أن كلمة استشراق من الناحية الاصطلاحية هي على خلاف مدلولها اللغوي، الذي يعني التوجه نحو الشرق، بل هي: " طلب علوم الشرق واتجاه للتخصص في معرفتها، والمستشرق هو المتخصص في علوم الشرق وحضارته وآثاره وفنونه، وأطلقت كلمة « مستشرق » لأول مرة سنة 1630م على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ثُم أطلقت بعد ذلك على كل من عرف لغات الشرق "[3]، وبهذ فالاستشراق هو صفة لكل من تخصص في علوم الشرق. وفي السياق نفسه يرى " بنسالم حمِّيش " أن: "المستشرق، حسب تعريف

[1]_ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي (للمدارس الثانوية والعليا)، المرجع السابق، ص512.

[2]_ عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، دار القلم، ط08، دمشق، 1420ه، 2000م، ص120.

[3]_ محمد فاروق النبهان، الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)، مرجع سابق، ص11.

أولي متداول، هو العالم المتخصص في معرفة الشرق ولغاته وآدابه "[1]، أي كمفهوم بسيط، هو الشخص الذي ينكب على دراسة الشرق والحرص على ذلك حتى يتخصص في هذا المجال.

وهذا لأن: " الاستشراق هو بالذات هذه المعرفة وقد تراكمت وترسخت في تقليد، وانتظمت في نسق له مقدمات ونتائج ويعمل بتقنيات ومناهج مخصوصة، ولهذه المعرفة تصورات يزود بها المستشرق مجتمعه "[2]، وعليه ربما يكون الهدف الأسمى من هذه الدراسة والمعرفة بعلوم الشرق، خدمة المستشرق لبلده ومجتمعه في جميع المجالات الممكنة.

إن المتفحص للتعاريف السالفة الذكر التي نسجها نقاد العرب، يمكن أن يستخلص بعض النقاط والتي من بينها :

* أن الاستشراق مبحث أكاديمي يُعنى بدراسة الشرق، له قواعد يتكئ عليها، ومنها ينطلق من أجل تحقيق غايات معينة.

* الاستشراق عبارة عن علم، يهدف إلى دراسة الشرق، وكل ما يتعلق به من تاريخ، ولغة وآداب، وعلوم، وعادات، ومعتقدات كما يقول الزيات.

* قد أطلقت كلمة « مستشرق » لأول مرة سنة 1630م على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ثم أصبح بعد ذلك يحملها كل من تخصص في علوم الشرق ولغاته.

* إن المعنى الأصلي لكلمة «استشرق » أنه صار شرقيا يشتغل على الإلمام بالعقلية الشرقية عامة.

* يعتبر الاستشراق علمًا وتوجهًا قائمًا بذاته، له خصائص يتميز بها.

[1] _ بنسالم حمِّيش، العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، دار الشروق، ط01، القاهرة _ مصر، 2011م ، ص17.

[2] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2_1 : عند نقاد الغرب :

كان لنقاد الغرب حظهم من مفهوم الاستشراق، على غرار نظرائهم من العرب، حيث أدلوا بدلوهم في هذا المجال، فهذا " رودي بارت rudi bart "، يرى بأن الاستشراق ميدان علمي وهب له أشخاص كثيرون أنفسهم، قائلا: " والميدان العلمي الذي وهب أمثالنا أنفسهم له، ميدان يختص بعالم، لا نتصل نحن به بصلة الانتماء "[1]، مؤكدا في الوقت نفسه على ضرورة اكتساب مفاتيح الولوج إلى هذا العالم _ العالم الشرقي _ وذلك من خلال المعينات اللغوية أولا وغيرها من المعينات الأخرى ثانيا، حيث يقول: " فنحن بحاجة إلى كتب في قواعد اللغة وإلى قواميس لنشق بها طريقنا إلى اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة التركية... إذ ينبغي على طالب هذه اللغات أن يحاول أن يشق طريقه إلى التعرُّف على العالم الفكري الذي تجسم في التعبير الأدبي لهذه اللغات، وخاصة اللغة العربية، والذي أصبح هذا التعبير الأدبي سجلاً له "[2].

ويسير " ديتريش dietrich " في نفس الاتجاه الذي ركز عليه " بارت " من الاهتمام بإتقان لغات الشرق كمفتاح يحتاجه المستشرق، قائلاً أن: " المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق "[3].

بعد عرض هذه التعاريف التي صاغها نقاد الغرب، يمكن للمتمعن فيها أن يخلص إلى بعض النقاط والتي من بينها :

---

[1] _ رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 2011م، ص13.

[2] _ المرجع نفسه، ص13، 14.

[3] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1418ه، 1998م، ص25. نقلا عن: أ_ ديتريش، الدراسات العربية في ألمانيا، دار النشر فرانز شتايير، بفيادن، 1962م، ص07.

* أن دارس موضوع الاستشراق، يجب عليه قبل كل شيء، أن يتمكن من ناصية اللغات الشرقية، ولا سيما العربية منها.

* أن الاستشراق ميدان علمي على حد قول بارت، استقطب الكثير من المولعين بهذا الفن.

* من أجل الوصول إلى نتائج إيجابية وسليمة حول العالم الشرقي، لابد للمستشرقين من إتقان لغة الشرق والتبحر فيها.

2_2: المفهوم الخاص للاستشراق :

لطالما أثار مصطلح الاستشراق المخاوف في النفوس وأحاسيس شتى، لأنه لا يخلو من الشك والارتياب، وهذا الشك والارتياب هو الذي جعل الكثير من الباحثين ينظرون إلى المفهوم العام للاستشراق، على أنه لا يقدم حقيقة لمعنى الاستشراق، وعلى رأسهم " إدوار سعيد " الذي وصف الاستشراق بأنه: " أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى «الشرق » وبين ما يسمى في معظم الأحيان « الغرب» "[1]، وهذا التمييز حسب " إدوار سعيد " هو الذي جعل الكثير من الفلاسفة والشعراء والروائيون، وحتى أصحاب السياسة والاقتصاد يؤمنون بهذا التمييز، بهدف الانطلاق نحو الشرق لدراسته من الناحية السياسية، وحتى عاداته وأسلوب تفكيره، وهو ما ترجمه الكثير من الشعراء والروائيون قي أشعارهم ورواياتهم، وهذا من أجل الهيمنة على الطرف الشرقي وإعادة بنائه، كما يضيف قائلا: " الاستشراق أسلوباً غربياً للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه، والتسلط عليه "[2].

ولتوضيح الرؤية أكثر يضيف " إدوار سعيد " قائلاً: "وأنا أعتقد شخصياً أن القيمة الكبرى للاستشراق تكمن في كونه دليلا على السيطرة الأوروبية الأمريكية على الشرق أكثر من كونه

[1] _ إدوار سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، مرجع سابق، ص45.

[2] _ المرجع نفسه، ص45، 46.

«خطابًا » صادقًا حول الشرق « وهو ما يزعمه الاستشراق في صورته الأكاديمية أو البحثية » "[1]، أي أن المفهوم الأكاديمي، كان يروج بأن الغرض من دراسة الشرق ما هو إلا خطابا عن هذا الأخير، بهدف التعرف عليه من جميع النواحي وهذا ظاهريا، أما الهدف الخفي والأسمى له هو البحث على الكيفية التي تجعل من الشرق خاضعا للغرب وتابعا له.

وهكذا تطور المفهوم الاستشراقي، وأصبح استشراق اليوم غير استشراق الأمس حيث إن: " الاستشراق اليوم مدرسة وعلم وسياسة واقتصاد، وبخاصة عندما يكون " الشرق " هو الإسلام، كحضارة وعقيدة وتراث وأمة "[2]، وبهذا أصبح الاستشراق أكثر تنظيما ودقة في توجيه الأهداف المرجوة منه: " وعندما نتحدث اليوم عن « الاستشراق »، فإننا لا نقصد ذلك المعنى اللغوي، وإنما نقصد « الاستشراق » بمفهومه الاصطلاحي الضيق، الذي يعني اهتمام العلماء الغربيين بالدراسات الإسلامية والعربية ومنهج هؤلاء العلماء ومدارسهم واتجاهاتهم ومقاصدهم "[3]، وهكذا أصبحت الحركة الاستشراقية في خدمة الأغراض السياسية، وهذا من خلال التحالف بين الثقافة والسياسة لتحقيق أهداف هذه الأخيرة _ السياسة _ وهنا تظهر أن الغايات المعرفية ما هي إلا غطاء لخدمة أغراض سياسية.

ويرى " علي حسن الخربوطلي " أن الاستشراق بمفهومه الحديث، أصبح حرفة ذات طابع علمي، له قواعد وأسس علمية ومنهجية، على خلاف ما كان عليه قي العصور الوسطى أو حتى في مطلع العصور الحديثة، حيث رأى أن: " الاستشراق في العصر الحديث أصبح حرفة، واتخذ الطابع العلمي المنظم، وأصبح له قواعده وأسسه المنهجية، نتيجة التطور العلمي، واختلاف الظروف السياسية في العالم، ونهضة الشرق، وتطور العلاقات بين الشرق وعالم الغرب. ولذا أصبح المستشرق في القرن العشرين يختلف تماما عن المستشرق في العصور الوسطى، أوفي مطلع العصور

[1] _ إدوار سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، المرجع السابق، ص50.

[2] _ محمد فاروق النبهان، الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)، مرجع سابق، ص12.

[3] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الحديثة "[1]، أي أن الاستشراق تحكمت فيه ظروف الحياة التي تطورت وارتقت بتطور ظروف الزمان والمكان، وظهور علاقات دولية جديدة، ومواكبة التطور العلمي والحضاري.

والاستشراق لا يمكن اعتباره مجرد موضوع أو حقل سياسي من خلال تجليه في الثقافة أو البحث العلمي أو المؤسسات، كما لا يمكن اعتباره فقط عبارة عن مجموعة من النصوص المكتوبة عن الشرق، كما لا يمكن التسليم فقط بأن يهدف إلى إخضاع العالم الشرقي وحسب؛ وإنما هو الوعي الجغرافي السياسي المبثوث في النصوص العلمية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية واللغوية، والمحافظة على مجموعة من المصالح التي يسعى إلى تحقيقها والحفاظ عليها بشتى الطرق مثل نتائج البحوث العلمية، إعادة البناء اللغوي القديم، بل تعدت هذه النية والإرادة في الكثير من الأحايين من أجل التلاعب والسيطرة، وهذا الخطاب ــ الاستشراقي ــ لا يرتبط بسلطة سياسية معينة أو يوازيها، وإنما يحي هذا الخطاب ويتقلب مع شتى أنواع السلطات، مثل السلطة الاستعمارية، والسلطة الفكرية، والسلطة الثقافية، والسلطة الأخلاقية[2].

ومهما يكن فإن حركة الاستشراق، حركة واسعة النطاق متعددة الجوانب، لها أطوارها عبر مختلف المراحل والأماكن والمواقف، إذ أن: " الاستشراق يمثل حركة متواصلة الحلقات يحاول فيها الغرب التعرف على الشرق علميًا وفكريًا وأدبيًا، ثم استغلاله اقتصاديًا وثقافيًا واستراتيجيًا، وجعله منطقة نفوذ له يسيطر بها على العالم بأسره "[3].

ولعل ما يمكن استنتاجه من هذه التعاريف التي قدمت حول المفهوم الخاص للاستشراق هو أن :

* الاستشراق بمفهومه الخاص هو عبارة عن أسلوب تفكير، من مهامه السامية العمل على التمييز بين الشرق والغرب.

[1] ــ علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 1988م ، ص23.

[2] ــ ينظر: إدوار سعيد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، مرجع سابق، ص58.

[3] ــ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص39.

* يعتبرالاستشراق أسلوبا من أساليب الغرب، الذي يستعملونه من أجل السيطرة على الشرق وإعادة بنائه من منظورهم الخاص.

* يختلف الاستشراق بمفهومه الحديث عما كان عليه سابقاً، وذلك باتخاذه الطابع العلمي الذي أضفى عليه سمة التنظيم والقواعد المنهجية.

* تكمن أهمية الاستشراق في كونه يخدم مصالح الدول الأوروبية وأمريكا، وذلك بغية السيطرة على الشرق، على عكس ما يدّعي المفهوم الأكاديمي الذي روج بأن الغرض من الدراسات الشرقية، ما هو إلا خطاباً صادقاً عنه.

* الاستشراق اليوم هو عبارة من مدرسة، تشتمل على السياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها.

* الاستشراق بمفهومه الجديد، هو ذلك الاستشراق الذي يهتم علماؤه بكل ما هو عربي وإسلامي، ولاسيما الحضارة والعقيدة والتراث.

وبعد ذكر هذه التعريفات الخاصة بالاستشراق بمفهوميه العام والخاص، لابد لنا في هذا المقام أن نذكر بعض التعريفات التي نسجها العلماء حول معنى " المستشرق "، باعتباره جزءً لا يتجزأ من الحركة الاستشراقية.

2 _ 3 : مفهوم المستشرق

لقد حدد " علي حسن الخربوطلي " المستشرق من خلال الجهة التي ينتمي إليها، أي أنه يجب على من يوصف بهذه الصفة أن يكون غربيا ينتمي إلى تلك الحضارة الغربية، بحيث لا تربطه أية رابطة بالعالم الشرقي، وعليه قد اعتبر " الخربوطلي " أن من ينتمي إلى الحضارة الشرقية لا يُعد مستشرقا، حتى ولو كان يابانيا أو أندونيسيا، حيث عرفه بقوله: " المستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية... ولا بد أن ينتمي هذا العالم إلى الغرب، ولو كان هذا العالم يابانيا أو

أندونيسيا أو هنديا لَمَا استحق أن يوصف بالمستشرق، لأنه شرقي بحكم مولده وبيئته وحضارته"[1].

ويرى " عبد الرحمن حسن الميداني " حول تحديد معنى المستشرقين، أنهم الذين: " يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون دراساتهم ونصائحهم ووصاياهم: للمبشرين بغية تحقيق أهداف التبشير. وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار "[2]، أي أن أصل المستشرق غربي، يخدم أهداف تبشيرية واستعمارية على حدٍّ قول " الميداني.

وفي نفس الاتجاه يرى آخرون أن المستشرق ما هو إلا: " باحث غربي يطلب دراسة علوم الشرق، خاصة الشرقَ الإسلاميَّ العربيَّ "[3].

في حين نجد أن المفكر " مالك بن نبي " قد أعطى تحديدا أكثر دقة ووضوحا، حين عَنَى بمفهوم المستشرق الذي يكتب عن الفكر الإسلامي وحضارته، في قوله: " إننا نعني بالمستشرقين الكُتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية "[4].

ولعل ما يمكن استخلاصه من هذه التعريفات الخاصة بالمستشرق، هو أن هذا الأخير يجب أن يكون منتميا إلى العالم الغربي، أي أن يكون ذات جنسية غربية، كما أن المستشرق هو ذلك الشخص الغربي الذي يهتم بالدراسات الشرقية من أجل خدمة أغراض تبشيرية واستعمارية، إضافة

[1]_ علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص22.

[2]_ عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص121.

[3]_ إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط06، القاهرة، 1436ه، 2014م، ص13.

[4]_ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، بيروت، 1388ه، 1969م، ص05.

إلى هذا يمكن اعتبار المستشرق ذلك الباحث الغربي الذي صوب دراسته الاستشراقية نحو علوم الشرق، وبالتحديد العربي الإسلامي.

2 : الاستشراق من الارهاصات إلى الاكتمال

إن المتتبع للبديات الأولى للاستشراق يرى الكثير من الاختلاف ووجهات النظر المتباينة، حيث كان لأهل الاختصاص في هذا المجال العديد من الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق، حيث أدلى كل بدلوه حول الإرهاصات الأولى للاستشراق، غير أننا في هذا المقام سنكتفي بذكر بعض الآراء التي رأى العلماء أنها ألقت القبول والإجماع في تحديد البدايات الأولى للاستشراق، ولمعرفة بداياته الأولى لابد من التطرق إلى ظروف نشأته.

2 _ 1 : نشأة الاستشراق :

لقد تعددت الآراء وتباينت الاتجاهات حول البدايات الأولى للاستشراق، وهذا بحسب مفهوم الباحثين له، حيث يرى الكثير من الباحثين أنه من الصعوبة بمكان تحديد أول غربي قام بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت بالتحديد: " ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات "[1].

ومهما يكن فإن الحديث عن نشأة الاستشراق قد ذهب الباحثون فيه عدة مذاهب، فهناك من رأى أن بذوره الأولى كانت قبل الميلاد، وهناك من رأى أنه ظهر بظهور البعثة المحمدية وبزوغ فجر الإسلام، في حين رأى آخرون أنه ظهر مع الغزوات الإسلامية ولاسيما غزوتا " مؤتة وتبوك"، ويرجع فريق آخر ظهور الاستشراق إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يؤكد فريق آخر على أن الاستشراق يعود إلى أيام الصليبين وبدء حملاتهم على الشرق.

[1] _ عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاث وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص122.

1 _ 1 : الرأي الأول :

فمن خلال الرأي الأول يرى " أحمد سمايلوفتش " أن: " ميلاد الاستشراق كان في القرن الثامن الميلادي وإن كان في الإمكان أن نعثر على براعيمه الأولى عند قدماء اليونان من أمثال هرودوت، واسترابون، وبليني وغيرهم "[1]، أي أن البذور الأولى للاستشراق كانت مع مؤرخي اليونان القدماء الذين كتبوا على بلاد الشرق، حيث: " نشأت البذور الأولى للاستشراق قبل الميلاد بعدة قرون ولكنها كانت في حاجة إلى قوة تنميها وتدفعها إلى الأمام بخطوات حثيثة و لم تتهيأ لها هذه القوة إلا بظهور الإسلام، واندفاعه نحو الغرب الذي اضطر إلى دراسته والبحث فيه وفي كل ما يتعلق به "[2].

1 _ 2 : الرأي الثاني :

وظهور الإسلام واندفاعه نحو الغرب هو المنطلق الذي انطلق منه الفريق الثاني في تحديدهم لبداية الاستشراق الأولى، وهذا من خلال وفود النبي صلى الله عليه وسلم التي أرسلها إلى قيصر الروم وغيره من ملوك الأرض، ففي: " أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام "[3].

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق ، ص71.

[2] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] _ صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الفكر، ط01، بيروت _ لبنان، 1424ه، 2003م، ص249.

1 _ 3 : الرأي الثالث :

ويرى الفريق الثالث أن سبب نشأة الاستشراق كانت بدايته من خلال الخصومة السياسية بين المسلمين والرومان، وذلك من خلال: " احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة مؤتة ومن ثَم غزوة تبوك "[1].

1 _ 4 : الرأي الرابع :

بينما ذهب الفريق الرابع إلى أن الاستشراق أوروبي المنشأ، وذلك حين أكدوا أن: " الاستشراق بدأ في أوروبا نفسها، في العصور الوسطى الإسلامية، حينما كان العرب المسلمون يحكمون أرجاء كثيرة في شبه جزيرة أيبريا «بلاد الأندلس»، وفي فرنسا وإيطاليا وصقلية وجزر البحر المتوسط، فقد كانت أوروبا قبل الفتوحات العربية والإسلامية تسبح في دياجير الظلام، وقد بددت الحضارة العربية الإسلامية هذه الدياجير الحالكة، وأصبح العرب أساتذة الأوروبيين. فقد أصبح العرب فيما بين منتصف القرن الثامن وأوائل القرن الثالث عشر الميلاديين حملة مشاعل الثقافة والحضارة في ربوع العالم أجمع، وكانت الحضارة العربية هي أساس النهضة في أوروبا "[2]. أي أن الاستشراق انطلق من أوروبا، وذلك من خلال الفتوحات التي قام بها المسلمون في القارة الأوروبية، وهو ما جعل أبناء هذه القارة ينبهرون بالثقافة والحضارة الإسلامية، وهو ما جعل الأوروبيون: " ينهلون من منابع الحضارة العربية، وقَدِمَ طلاب العلم من كل أرجاء أوروبا على بلاد الأندلس يدرسون قي جامعاتها ومعاهدها... وقد اتخذ إقبال الأوروبيين على الاستفادة من الحضارة العربية شكلاً علميا منظما، مما يجعله استشراقا على أسس علمية ثابتة واضحة "[3].

---

[1] _ قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط01، الرياض، 1403ه، 1983م، ص19.

[2] _ علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص27، 28.

[3] _ المرجع نفسه، ص28.

وعليه قد فرض الانتشار الإسلامي على الغرب تعلم لغته وعلومه، حيث استطاع الإسلام الوصول إلى الكثير من النواحي الأوروبية، حاملاً معه لهذه المناطق الحضارة وشتى الفنون والعلوم، فكان حافزا على تعلمه وفهمه بغية الاستفادة منه.

1 _ 5 : الرأي الخامس :

أما الفريق الخامس وهو الذي ربط ظهور الاستشراق ببداية الحروب الصليبية، فكان مرد ذلك هو حاجة الغزاة الأوروبيون لفهم هذا العالم الذي دخلوه ولقوا فيه ما لقوا من هزائم متكررة، حيث يكمن هذا الربط في: " أن بداية الاستشراق كانت بسبب الحروب الصليبية حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية في فلسطين، وحجة هؤلاء أن العداء السياسي استحكم بين النصارى والمسلمين أيام نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي ومن ثم أيام أخيه العادل إثر الهزائم المتكررة التي ألحقها هؤلاء القادة المسلمون بالصليبيين، ففرض كل هذا على الغرب أن ينتقم لهزائمه "[1]، وهذا من خلال دراسة الشرق الإسلامي، بغية معرفة كل صغيرة وكبيرة تتعلق بهذا العالم.

وبعد هذه الإطلالة السريعة التي ذكرناها لبعض العلماء، حول الإرهاصات الأولى للاستشراق والتي لم يتم الإجماع حول تاريخ محدد لها على حدِّ قول الكثير من أهل الاختصاص، لابد لنا في هذا المقام من أن نذكر بعض الأقوال لنقاد من العرب والغرب حول البدايات الأولى للاستشراق، والتي يمكن وصفها بأن فيها نوع من الإجماع عن تاريخ بداية الاستشراق.

2 _ 2 : آراء نقاد العرب حول مسارات الاستشراق :

هناك من رأى أن بداية الاستشراق، كانت تزامناً مع ما وصل إليه العرب في القرن العاشر للميلاد من تقدم في شتى أنواع العلوم، كالعلوم الطبيعية والطبية والرياضية والفلكية وغيرها، وهو الأمر الذي أبهر الغربيين وجعلهم يُقبلون على دراسة العربية من أجل النفاذ إلى هذه العلوم، حيث

[1] _ قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، مرجع سابق، ص20.

كان: " أول عهد الغربيين بالاستشراق يرجع إلى القرن العاشر للميلاد، ذلك بأنه لما شهد القوم ما بلغ العرب من الحظ العظيم في العلوم الطبيعية والطبية والرياضية والفلكية وغبرها من علوم الحياة، وبهرهم ما رأوا من آثارها في ازدهار حضارتهم انبعثوا في طلبها، وتقليب النظر فيها والانتفاع بقضاياها في حياتهم العلمية، فأقبلوا على دراسة العربية ليتهيأ لهم ما طلبوا "[1].

وفي الاتجاه نفسه ذهب " إبراهيم اللبان "، حيث ربط بداية الاستشراق بالقرن العاشر للميلاد وهو القرن الذي اهتم فيه الغرب بالعلوم العربية من أجل الولوج إلى عالم الحضارة الشرقية، حيث رأى أن: " حركة الاستشراق بدأت في القرن العاشر الميلادي حيث ظهر الاهتمام بالعلوم العربية قي هذا القرن بالذات، ثم ازدهرت حركته في القرن الثاني عشر حيث انتشرت تلك المراكز العلمية في العالم الإسلامي وبدأ الأوروبيون يتوافدون إليها ليتعلموا فيها "[2].

في حين ذهب آخرون إلى أن بداية الاستشراق كانت واضحة ابتداءً من القرن الثالث عشر للميلاد، حيث قالوا: " إن تاريخ الاستشراق قديم يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي بكل وضوح، والعوامل التي كونت هذا التاريخ إنما هي دينية وسياسية واقتصادية "[3]، أي أن الاستشراق ظهر في هذا التاريخ وهو القرن الثالث عشر للميلاد، وهذا نتيجة عوامل دينية وسياسية واقتصادية، حتمت على الغرب أن يكون لها مستشرقين يطلعونها على تفاصيل ومعلومات خاصة بالشرق.

---

[1]_ أحمد الاسكندري وآخرون، المفصّل في تاريخ الأدب العربي، ج02، المطبعة الأميرية ببولاق ، دط، القاهرة، 1936م، ص408.

[2]_ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص54. نقلا عن: إبراهيم عبد المجيد اللبان، المستشرقون والإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، 1970م، ص11.

[3]_ أبوالحسن علي الحسني الندوي، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقون، جمع وإعداد: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، ط01، دمشق، 1423ه، 2002م، ص15.

وقد رأى " أحمد الشرباصي " أن الحركة الاستشراقية كانت نتيجة انبثاق من الحروب الصليبية، حيث أكد أن: " الاستشراق بدأ تقريبا في القرن الثالث عشر الميلادي حيث انبثق من الحروب الصليبية التي لم تكن سوى إحدى نقط التحول في تاريخ الشرق "[1].

إن المتتبع لهذه الأقوال التي ذكرها مجموعة من الباحثين، وهي عينة من أقوال كثيرة في هذا المجال، يرى أن نشأة الاستشراق وبدايته الفعلية هي محصورة ما بين الدولة الإسلامية في الأندلس إلى غاية الحملات الصليبية، وهذا ما ذهب إليه الكثير من مؤرخي الاستشراق، وهو ما أكده الكثير من النقاد الذين رأوا أن بداية الاستشراق من الناحية التاريخية لا تخرج عن هذه الحدود التي ذكرها مؤرخو الاستشراق.

2 _ 3 : آراء نقاد الغرب في مسار الاستشراق :

على غرار نقاد العرب، فقد كان لنظرائهم من الغرب موقفهم من بداية التأريخ للحركة الاستشراقية وأول ظهور لها، حيث كان لهم بعض الآراء في هذا المجال، على غرار " رودي بارت " الذي ربط ظهور الحركة الاستشراقية بالقرن الثاني عشر من خلال بعض الدراسات العربية الإسلامية، والتي كان من نتائجها أن كللت بترجمة القرآن إلى اللاتينية، وكذا تأليف أول قاموس لاتيني عربي، حيث يقول في هذا: " أن بداية الدراسات العربية الإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر _ ففي عام 1142 تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية... وفي القرن الثاني عشر أيضا نشأ أول قاموس لاتيني عربي "[2].

وقد أكد " برنارد لويس bernard lewis " أن أول احتكاك بين البلاد المسيحية والعربية كان في الأندلس أيام الفاتحين، الذين أقاموا دولة إسلامية هناك، فكان من نتائجها: " أن أوربا شربت مناهل العلوم العربية التي كانت تتدفق في الأندلس إذ أسس العرب في أسبانيا وصقلية

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص55. نقلاً عن: أحمد الشرباصي، التصوف عند المستشرقين، ص07.

[2] _ رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق، ص14.

مدنية زاهرة أرقى بكثير من أية مدنية معاصرة لها في ذلك الوقت في البلاد المسيحية وهي المدنية التي خلقت آثارًا في المدنيات المسيحية المعاصرة لها "[1].

في حين أن " ماكس فانتاجو max fantago " ربط الحركة الاستشراقية بالحملة الصليبية على القدس الشريف، التي قادتها شعوب أوروبا الغربية ممثلة في شعوب فرنسا وألمانيا وانجلترا، حيث كان لاتصال هذه الشعوب الغربية بالعرب نتائج لم يكونوا يتوقعونها، وهذا من خلال ما حصلوا عليه من أنواع المعرفة، حيث إن شعوب أوروبا الغربية: " استيقظت في القرن الثاني عشر إثر اتصالها بالعرب فاكتسحت هؤلاء وجعلت من مباحثهم مقفزًا لها، وانتهت خلال بضعت قرون إلى نتائج خصبة في ميدان المعرفة وأتاحت للرجال أن يصلوا إلى قمم لم يكونوا آنذاك يرونها "[2].

فهذه بعض الآراء من علماء العرب والغرب حول ميلاد الحركة الاستشراقية ونشأتها، والتي لا تعدو حسب ما رأيناه من أقوالهم، أن تكون بدايتها الأولى تدور بين أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، إلى غاية الحملة الصليبية على القدس الشريف.

2 _ 4 : مراحل الاستشراق :

لقد مرّت الحركة الاستشراقية على حدِّ قول " أحمد سمايلوفتش "، بمراحل ثلاث وهي: مرحلة التكوين، مرحلة التقدم، مرحلة الانطلاق.

أ : مرحلة التكوين :

لقد كانت اللبنات الأولى للاستشراق قبل الميلاد، غير أن هذه اللبنات الأولية كانت بحاجة إلى من يدفعها نحو الأمام، ولم يتسن لها ذلك إلا مع ظهور الإسلام وتوجهه نحو الغرب، حيث

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص57، 58. نقلا عن: برنارد لويس، تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية، دط ، دت، ص3، 4.

[2] _ ماكس فانتاجو، المعجزة العربية، تر: رمضان لاوند، دار العلم للملايين، ط02، بيروت، 1981م، ص113.

أصبح ميلاد الاستشراق الفعلي في القرن الثامن الميلادي، حين أخذت الكنيسة على عاتقها مهمة تربيته ورعايته ــ الاستشراق ــ وذلك بغية أن تزرع فيه التعصب تجاه الإسلام ورسوله، وما إن وصل العرب الفاتحين الأندلس، واتصل الغرب بالعرب حتى ظهر للعيان العداء الغربي للإسلام والمسلمين، وظلت هذه طريقة وسنة متبعة إلى يوم الناس هذا، حيث كان للكنيسة دورًا رئيسيًا في تغذية هذا التعصب وتهييجه.

وبقيت هذه العقلية الأوروبية الجامدة تفكر بهذه الطريقة إلى ما قبل الحروب الصليبية، حيث إنها كانت على معرفة ناقصة بالشرق، ومع أنها كانت تعايش الأندلس الإسلامية، إلا أن حقدها الديني وتعصبها لم يساعدها على التفكير السليم والصحيح، ومهما يكن فإن هذه المرحلة قد لعبت دورًا بارزًا في تاريخ الاستشراق الذي بدأ في التقدم نحو الأمام، وذلك باعتبار أن أوروبا كانت تراقب عن كثب كل ما كان يجري في الأندلس من جهة، وما يدور في بغداد من جهة أخرى[1].

ب ــ مرحلة التقدم :

مما لا شك فيه أن الحروب الصليبية تعتبر سببا بارزا في تاريخ الحركة الاستشراقية، كيف لا وهي التي فرضت على الغرب ضرورة دراسة الحياة الإسلامية والتعرف على هذا العالم ومراقبته عن كثب، فكانت هذه الحملات الصليبية سبباً في انتشار الاستشراق انتشارا واسعا، فاتسع معه التعصب الديني تجاه الإسلام والمسلمين، حيث: " أن التعصب الديني الأوربي كان قويا ومع ذلك لم يكن هو الدافع الوحيد لتعلم العربية بل كان يكمن في النفوس دافع أقوى وأعمق إذ أدرك الغرب خلال حروبه الصليبية مع الشرق أنه يتفوق عليه فكريا وحضاريا واقتصاديا فإذا أراد أن يتقدم ويتحرر فلابد أن يسير في الطريق الذي سارت فيه شعوب الشرق قبله ولذلك شرع في

[1] ــ ينظر : أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص71، 72.

إنشاء المدارس والمعاهد والمراكز وفي تعلم الحضارة العربية التي كانت من أقوى البواعث لنهضة المسلمين العلمية والفكرية "[1].

فهكذا كانت مواجهة الغرب للإسلام على نطاق واسع، أي العداء من جهة وتقليده والاستفادة من علومه وحضارته من أجل النهوض من جهة أخرى.

ج ــ مرحلة الانطلاق :

بعدما استفادت أوروبا من الثقافة العربية، وحققت نهضتها بدأت تتطلع إلى أفق أوسع، حيث: " شملت الروح الجديدة الاستشراق فاهتم به العلماء لا لمواجهة الإسلام فحسب، وإنما لفهمه ودراسته "[2]، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور الطباعة وانتشارها، ومعها انتشرت العربية من خلال طباعة كتبها وغيرها من الكتب العلمية العربية: " وشهد الاستشراق في القرنين السادس عشر والسابع عشر ازدهارًا كبيرًا في النواحي العلمية والدراسية المتخصصة وعندما أقبل القرن الثامن عشر كان الاستشراق قد ثبت أقدامه ووطد مراكزه واستقل كيانه ورسم اتجاهه وحدد معالمه وتأثر بعوامل عديدة من أشهرها : إنشاء كرسيين للعربية في جامعتي أكسفورد وكامبريدج والتوسع الأوروبي في الشرق الأقصى "[3].

وما يمكن استنتاجه من نشأة الاستشراق أنه فيه آراء مختلفة، حيث رأينا فيما أوردناه سابقا أن هناك من يرجع نشأته إلى حقبة ما قبل الميلاد، وآخرون يرون أن ميلاده كان مع وفود النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام، في حين رأى آخرون أنه ظهر مع الغزوات الإسلامية ولاسيما غزوتي مؤتة وتبوك، ويؤكد فريق آخر أن الاستشراق بدأ منذ أن وطأت أقدام جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوربا من عدة نواحي.

---

[1] ــ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص74.

[2] ــ المرجع نفسه، ص77.

[3] ــ المرجع نفسه، ص80.

كما يمكن القول أن هناك شبه إجماع على أن نشأة الاستشراق بدأت مع بداية الدولة الإسلامية في صقلية وغيرها من نواحي أوربا، أي مع بداية القرن الثامن للميلاد، وكذا بداية الحملة الصليبية على القدس الشريف.

وعليه يمكن القول أن الاستشراق حسب رأي الكثير من الباحثين، بدأ أندلسيًا من حيث التكوين والنشوء، وتقدم مع تقدم الحملات الصليبية نحو القدس الشريف، وانطلق انطلاقة فعلية ومنهجية منظمة مع بداية القرن الثامن عشر، أي أن له ثلاثة مراحل مشهورة وهي : مرحلة الإرهاصات وهي الأولى، ومرحلة التعمق وهي الثانية، ومرحلة البداية الحقيقية وهي الثالثة.

3_ دوافع الاستشراق :

بعدما تطرقنا في المحاور السابقة إلى تعريف الاستشراق، وتاريخ ظهوره وأهم المراحل التي مرَّ بها، لا بأس من ذكر الشيء المحرك لهذه الحركة الاستشراقية، حيث إن الباحث في هذا المقام وعند قراءته لتاريخ هذه الحركة، وما يلاحظ عليها من الحرص والمثابرة طوال هذه القرون، ربما ينتابه العجب ويصاب بالدهشة لموضوع الاستشراق فيقف متسائلاً : ما الذي حمل هؤلاء الغربيين على بذل كل هذه الجهود، وإفناء العمر في دراسة هذا العالم الذي يختلف عن عالمهم على جميع المستويات، لا من حيث اللغة أو العقيدة أو التاريخ ؟.

وربما الشيء الذي يجيب على هذه التساؤلات الدافع، أو بتعبير آخر أهم الدوافع التي حتمت وجود هذا الاستشراق واستمراره، والدوافع كما يرى الكثير من الباحثين لا يمكن حصرها، وهذا لتعددها وتداخلها مع بعضها البعض، وهذا باعتبار أن الاستشراق ظاهرة تاريخية مرت بعدة مراحل معقدة ومتنوعة، فتنوعت وتعددت دوافعها بتنوع المراحل التاريخية المختلفة، ولكن يمكن القول أن هناك دوافع قد أجمع على ذكرها السواد الكبير من الباحثين في كتبهم، فاعتبرت من أهم وأبرز دوافع الاستشراق، وسنذكر فيما يلي أبرز وأهم هذه الدوافع باختصار :

3 _ 1 : الدافع الديني :

يرى الكثير من الباحثين أن الاستشراق بدأ بتوجيه أو بتحريض من الكنيسة، فكان قواده من الرهبان والقساوسة النصارى، حيث: " كان هؤلاء مدفوعين بدافع الانتصار للنصرانية، والرغبة بتنصير المسلمين الذين اكتسحوا إمبراطوريتهم... واتجه هؤلاء للطعن في الإسلام... بغية إقناع جماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية، بأن الإسلام دين لا يستحق الانتشار "[1]، فكان هدف رهبان وقساوسة الكنيسة الدفاع عن نصرانيتهم المحرفة من جهة، وحماية أتباعهم من هذا الدين الذي داهمهم في عقر دارهم، وهو الدين الإسلامي، وذلك من خلال تشويهه بالدعايات الكاذبة بغية صد قومهم عنه.

وقد لاحظ النصارى سرعة انتشار هذا الدين، وقدرته على صرع خصومه والتغلب عليهم في أسرع وقت ممكن، كيف لا وقد: " نازل الإسلامُ النصرانيةَ وانتصر عليها في عُقر دارها، وأقام حضارة ودولة في الأندلس "[2]، وهو الشيء الذي حرك همم الغربيين، حين شعروا بالخطر الذي بات يدهمهم ويداهم دينهم المحرف، فكان خوفهم على جماهيرهم أكبر، إذ الإسلام كما يقول العلماء دين الفطرة، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كان يُحَدِّثُ: قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « مَا من مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا من جَدْعَاءَ »[3].

---

[1] _ عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص127.

[2] _ إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مرجع سابق، ص27.

[3] _ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ج01، دار البيان الحديثة، ط01، القاهرة، 1423ه، 2003م، ص297، 298.

وقال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، [سورة الرُّوم ، الآية: 30]، يقول " عبدالرحمن السعدي " في تفسير هذه الآية الكريمة « فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا » أي: " وضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق، وإيثار الحق، وهذه حقيقة الفطرة "[1].

ومن خلال هذه الأمور وغيرها: " أدرك النصارى أن الإسلام يشكِّل تهديدا حقيقيا لديانتهم، فهبوا يكتبون عنه ــ الإسلام ــ بروح متعصِّبة وقلوب حاقدة، وقامت طلائع المستشرقين تعمل في دأب على تشويه صورة الدين الحنيف لدى الأوربيين كي لا يعتنقوه... فلم يتركوا نقيصة ولا رذيلة إلا وألصقوها بالإسلام ورسوله ورجاله ومبادئه، وكل ما يتصل به "[2]، فقد اجتمع في قلوب هؤلاء المستشرقين الحقد والخوف، حقدوا على الإسلام ورسوله وأتباعه لما حققه من انتشار في بقاع المعمورة، وخافوا أن يداهمهم في قلوبهم وقلوب أتباعهم على وجه الخصوص، بعدما داهم أرضهم وأوطانهم فاتحاً لها.

وحسب ما يرى بعض الباحثين فإن الدافع الديني قد غذته عدة تحالفات، مثل الجهل الذي كان سائدا في العصور الوسطى في القارة الأوروبية، وكذا الغاية التبشيرية التي سعى إليها رجال الكنيسة، وهذا الجهل الذي كان منتشرا لدى الغربيين أدى إلى: " أن الإسلام ظل غير معروف

[1] ــ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم، ط01، بيروت ــ لبنان، 1424ه، 2003م، ص611.

[2] ــ إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مرجع سابق، ص28.

لمعظم أبناء المجتمع المسيحي، كما ظل محمد في الأدب الأوروبي شخصية غامضة، ويمكننا أن ننسب هذا الجهل بالإسلام وبمحمد عليه الصلاة والسلام، إلى قلة الفرص المتاحة للمسحيين لدراسة حياة الرسول أو عقيدته "[1].

كما تعتبر الغاية التبشيرية شغلهم الشاغل من أجل التشويش على المسلمين، وهذا من خلال تشويه سمعة الإسلام، باعتبار أن المستشرقين: " هم قبل كل شيء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين؛ لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث "[2].

ويرى الكثير من الباحثين أن الهدف الديني، كانت له ثلاثة اتجاهات سار على منوالها منذ أيامه الأولى، وتمثلت هذه الاتجاهات فيما يأتي :

* محاربة الإسلام من خلال إضعافه بشتى الطرق، مثل الزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية، وكذا الانتقاص من قدر نبيه صلى الله عليه وسلم.

* العمل على حماية المسيحيين من الإسلام، وذلك بحجب حقائقه عنهم وإطلاعهم على حقائق كاذبة أحيكة ضد الإسلام وأهله، والتحذير من مغبة الإستسلام لهذا الدين.

* التبشير وتنصير المسلمين، والعمل على تطبيق القرارات التي اتخذت في مجمع " فيينا " الكنسي في عام1312م، مثل إنشاء كراسي اللغة العربية في جامعة كمبريج بعد أكثر من ثلاثة قرون، وكذا تأسيس مجلة العالم الإسلامي عام1911م عن طريق " صمويل زويمر " رئيس المبشرين في الشرق الأوسط[3].

---

[1] _ علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص55، 56.

[2] _ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وماعليهم)، دار الوراق للنشر والتوزيع، دط، ، دت، ص21.

[3] _ ينظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، دط، القاهرة ، دت، ص75.

3 _2 : الدافع السياسي والاستعماري :

بعدما تكبد الصليبيون هزائم نكراء متتالية على أيدي المسلمين في حروب سميت وقتها بالحروب الصليبية أو الدينية، وهي في حقيقتها كما قال الباحثون في هذا الشأن، حروب ذات غايات استعمارية وليست دينية؛ لم ييأس الغربيون من خلال تفكيرهم الدائم، والقاضي إلى احتلال بلاد المسلمين مرة أخرى: " فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وتراث وعادات وأخلاق وثروات؛ ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا "[1].

وقد ظهرت الأهداف السياسية واتسعت من خلال اتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، وذلك: " في القرنين التاسع عشر والعشرين... واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد، وأن تدرس لهم آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها وقد اتجهوا في هذه المرحلة إلى العناية باللهجات العامية والعادات السائدة كما عنوا بالدين والشريعة "[2].

ولما تحقق للغرب ما أرادوا من خلال استيلائهم العسكري وسيطرتهم السياسية، عمدوا من خلال دراساتهم الاستشراقية إلى التشكيك في تراث المسلمين وعقيدتهم وقيمهم الإنسانية، وكذا العمل على أن يفقد المسلمون ثقتهم بأنفسهم، وبالتالي الارتماء في أحضان الغرب والأخذ من أخلاقهم وعقائدهم وجعلها حلولا لمشاكلهم الحياتية، كما عمدوا إلى إحلال مفاهيم جديدة مع التركيز على إحياء النعرات الجاهلية، كالقوميات المختلفة مثل: الفرعونية، العربية، التركية، الكردية، الفارسية... وغيرها، وذلك بهدف تشتيت شمل الأمة الإسلامية التي من مبادئها أن تكون

[1] _ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وماعليهم)، مرجع سابق، ص22.

[2]: المرجع نفسه، ص78.

أمة واحدة، تربطها رابطة واحدة وهي رابطة الدين الإسلامي، وهذا كله من أجل السيطرة على بلدان العالم الإسلامي وشعوبه، أي السيطرة على الأرض واستعباد أهلها[1].

3 _ 3 : الدافع الاقتصادي :

يعتبر الدافع الاقتصادي من أهم دوافع الاستشراق، وهذا لحاجة الدول الغربية للمواد الأولية والخام من أجل إنعاش اقتصادها وصناعاتها المختلفة من جهة، ومن جهة ثانية من أجل السيطرة على أسواق الشرق ولاسيما الشرق الإسلامي، وهذا الذي جعل الدافع الاقتصادي من: " الدوافع المهمة التي حرَّضت كثيرا من الغربيين على الدراسات الاستشراقية رغبتهم بغزو البلاد الإسلامية غزوًا اقتصاديًا، يهدفون فيه إلى توسيع تجارتهم، والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التي كانت في طريقها للازدهار، من أجل الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة في الشرق "[2].

ومن أجل أن تحقق المؤسسات الاقتصادية الغربية أهدافها ومطامعها المتمثلة في نهب وسلب خيرات الشرق، عمدت إلى إرسال: " من يهتمون بالدراسات الاستشراقية، ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم والمترجمين لهم في مهمّاتهم ومطالبهم الاقتصادية، أو أبدت استعدادها لاستخدام من يعمل لهم في هذا المجال، فاتجه فريق من الغربيين لهذه الدراسات، طمعا بأن يجدوا أعمالاً لهم لدى المؤسسات الاقتصادية "[3]، وبهذا أصبحت الدراسات الاستشراقية تعود بالكثير من الأموال على أصحابها، وعليه يمكن اعتبار هذا الدافع دافع تحصيل الأموال، والتمكن من تحقيق المطامع الاقتصادية بامتياز.

---

[1]: ينظر: عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص129 ، 130.

[2]_ فاطمة هدى نجا، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، ط01، طرابلس _ لبنان، 1413ه، 1993م، ص55.

[3]_ عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، المرجع السابق، ص130.

3 _ 4 : الدافع العلمي :

يعتبر الدافع العلمي ذو أهمية كبيرة في الحركة الاستشراقية، وهذا لما في العالم الشرقي من أهمية بالغة في نظر المستشرقين، إذ يُعد هذا العالم بالنسبة لهم مهد الحضارات، ومهبط الأديان والشرائع، ومنبع العلوم ومختلف الفنون، ولهذا: " فأقبل المستشرقون على هذه الدراسات بنهم وشغف وانطلق كثير منهم إلى آفاق بناءة استفاد منها الشرق والغرب على حد سواء "[1].

ولتوضيح الهدف العلمي أكثر، لابد لنا في هذا المقام من الاستشهاد ببعض الأمثلة التي ذكرها الباحثون في هذا السياق ورأوا أنها تمثل الاستشراق العلمي المنظم، حيث إنهم قصدوا من هذا البعثات العلمية التي بعثت بها دول الغرب إلى الأندلس للاستفادة من علوم الشرق وحضارته الزاهرة في تلك الحقبة، ومن بين هذه البعثات التي تعبر عن الاستشراق العلمي المنظم نذكر على سبيل المثال: " البعثات الثلاث التي قَدمت إلى الأندلس، وأولها بعثة فرنسية برئاسة الأميرة اليزابيت ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا. والبعثة الثانية انجليزية وعلى رأسها الأميرة (دوبان) ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة (ويلز). أما البعثة الثالثة فكانت أسبانية، وبعضها من مقاطعات (سفوا) و (البافر) و (ساكسوفيا) و (الرين) وقد بلغ عدد أفرادها «213ه _ 1293م » سبعمائة طالب وطالبة "[2].

وقيام الدول الأوروبية بهذه الخطوة في إرسال البعثات العلمية إلى الأندلس، لم تكن عملية اعتباطية، وإنما كانت عن قصد وروية، تسعى من وراء ذلك إلى عدة أهداف من بينها أو على رأسها رفع الجهل عن أراضيها التي كانت تعيش في ظلامه، وذلك من خلال الاستفادة من مختلف علوم الشرق، وهو ما كان لهم بالفعل، حيث كانت النتيجة أن: " استفادت أوربا من هذه البعثات العلمية فائدة لا تقدر، حيث أصبح أفرادها بعد عودتها من الأندلس شعلة علمية تضيء غياهب أوطانها ومجاهل أراضيها وأخذت تنشر العلوم والفلسفات والآداب والحقائق فدفعت

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص51.

[2] _ علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص29.

بشعوبها إلى الأمام خطوات جبارة لا يمكن التغاضي عنها عند النظر في تطور العلم في العالم وأثرها في النهضة الأوروبية المعروفة "[1]، وهذا الذي ذُكر يمكن تصنيفه في خانة الدافع العلمي كما يقول العلماء، والذي كان يهدف إلى خدمة النهضة الأوروبية في المقام الأول.

في حين يرى الكثير من الباحثين أنه يوجد: " من المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته "[2]، أي أن بعض المستشرقين على قلتهم، وحينما طبقوا الموضوعية في أبحاثهم وابتعدوا عن النزوات الذاتية والنعرات التعصبية، كانت من نتائج أبحاثهم أن توصلوا إلى حقائق علمية سليمة ومفيدة، لم يتوصل إليها غيرهم من المتعجرفين المتحيزين، بل إن دراستهم السليمة هذه كانت من نتائجها أن أدخلتهم في هذا الدين الحنيف، ومَنَّ الله عليهم بالإسلام.

ولكن مع الأسف أن أبحاث هؤلاء القلقة القليلة من المستشرقين المعتدلين، الذين تزودوا بالموضوعية وابتعدوا عن الذاتية، أن أبحاثهم: " لا تلقى رواجا، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحًا ولا مالاً، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين "[3].

وهؤلاء المستشرقين الذين تناولوا الاستشراق من زاوية علمية موضوعية، إلا أنهم كما يقول الباحثون: " لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فيتصورونها كما يتصورون

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص52.

[2] _ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، مرجع سابق، ص24، 25.

[3] _ المرجع نفسه، ص25.

مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها "[1]، أي أن عدم إحاطة المستشرقين الكاملة ببعض المستلزمات البحثية، كاللغة العربية، والأحداث الإسلامية التاريخية مثلا تجعلهم يقعون في الأخطاء، وبالتالي تكون استنتاجاتهم بعيدة في كثير من الدراسات التي يقومون بها عن الحق والحقيقة المطلوبة.

وما يمكن استنتاجه من الدافع العلمي للحركة الاستشراقية، هو أن طلب العلم الذي كانت الحضارة الإسلامية ميدانا له، يعتبر أحد أهم دوافع الاستشراق، وعليه يمكن القول أن الحضارة الأوروبية وما وصلت إليه من مدنية متعاظمة، تدين بكثير للحضارة الإسلامية، بل يمكن القول أن مبعث هذه الحضارة كان من أرض الشرق، وخاصة الشرق الإسلامي، كما يمكننا القول أن الدافع العلمي للحركة الاستشراقية أخذ اتجاهين هما :

* الدافع العلمي الذي كان غرضه دراسة علوم الشرق الإسلامي بمختلف تخصصاتها العلمية، ومن ثَم نقلها إلى الغرب لتتقدم أوروبا وتحقق نهضتها.

* في حين أن الاتجاه الثاني للهدف العلمي، كان القصد منه دراسة علوم الشرق الإسلامي والتبحر فيها، وذلك بإتباع الطريقة الموضوعية، والابتعاد عن الهوى والتعصب.

3 _ 5 : الدافع الثقافي :

يعتبر الدافع الثقافي من أخطر أهداف الاستشراق، لما لعبه من دور في نشر الثقافة الغربية، حيث ركز عليه المستشرقون كثيرا، بغية التأثير على الحياة الفكرية في المجتمعات الشرقية ولاسيما الإسلامية منها، ولعل من أبرز هذه المجالات التي ركز عليها المستشرقون، هي محاربة اللغة العربية ومحاولة إحلال مكانها اللغات الأوروبية، محاولين بهذا الفعل النيل من مصدر عز الحضارة العربية

[1] _ عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص132.

الإسلامية، وهذا عندما: " رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة العربية الإسلامية وأنها مصدر عزة للشرق وللعرب والمسلمين. ثم أنهم أيقنوا أن أمة لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخنع أو تذل أو تبيد. وهكذا انصرفت أذهان هؤلاء المبشرين والمستعمرين إلى تشويه وجه هذه الثقافة وإلى الحط من شأنها في نفوس أصحابها "[1].

وهذا يعني أن الغرب لما رأوا بأم أعينهم بفعل حركة التبشير والاستعمار، لما للثقافة العربية من عظمة وازدهار، وما لها من مكانة كبيرة في نفوس أصحابها وأنها مصدر عزهم وفخرهم، راحوا يحاولون تشويه هذه الثقافة وإطلاق الوساوس والشبهات حولها.

وقد أيقن المستشرقون خطورة الدافع الثقافي على الشرق، وأنه عنصر مهم في خدمة أهدافهم التي يسعون من ورائها إلى التأثير على الحياة الفكرية في المجتمعات الإسلامية ركزوا عليه كثيرًا، بحيث تحققت لهم العديد من المكاسب: " فعن طريقه انتقلت الأفكار والمذاهب الغربية خلال القرنين الأخيرين، ووجدت لها مكاناً في الحياة الثقافية للمسلمين "[2]، وكان لهذه الأفكار والمذاهب دور كبير في التأثير على الحياة الفكرية في العالم العربي الإسلامي، حيث ظهرت العديد من المذاهب المختلفة، وهذا باختلاف مذاهب المستشرقين وتوجهاتهم وإيديولوجياتهم، فتعددت من خلالها مظاهر الغزو الفكري، أي أنه بفعل تعدد: " مذاهب المستشرقين وأيديولوجياتهم فقد تعددت أشكال الغزو الفكري، وتنوعت الاتجاهات الفكرية، وكثرت المذاهب التي ازدحمت بها الساحة الفكرية في المجتمع الإسلامي مثل الشيوعية، والاشتراكية، والعلمانية، والرأسمالية، والقومية،

[1] _ مصطفى خالد وعمر فرّوخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، ط05، صيدا _ بيروت، 1973م، ص218.

[2] _ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط01، القاهرة، 1997م، ص87.

والليبرالية، وغيرها من المذاهب التي سيطرت على قطاعات عريضة من المفكرين والمثقفين في العالم العربي والإسلامي "[1].

والمذاهب السالفة الذكر لها نظرياتها الخاصة بها، والتي من خلالها نفذت إلى الفكر الإسلامي الحديث، دون أن يكون لهذا الأخير ـ الفكر الإسلامي الحديث ـ بديل لهذه النظريات، أو على الأقل تكييفها من منظوره الخاص، وهو الأمر الذي عاد سلبا على مختلف العلوم في العالم الإسلامي وشتى فنونه، بل تعدت حتى إلى الحياة الفكرية والثقافية العامة، حيث: " تسربت إلى التعليم الجامعي معظم النظريات الغربية في التاريخ، والدين، والاجتماع، والفلسفة، والأدب، والفن والأخلاق.. وقد انتقلت هذه النظريات من ساحة التدريس بالجامعات إلى الحياة الفكرية والثقافية العامة، وذلك لما للجامعات من دور في نقل الفكر "[2].

وقد غَنم المستشرقون غنيمة عظيمة، إذ استطاعوا أن يقنعوا أبناء المسلمين بتبني هذه المذاهب والنظريات والترويج لها، ولولاهم ما استطاعوا أن يحصدوا شيئا، وبالتالي تشكلت للمستشرقين قاعدة متينة في البلاد الإسلامية: " تتكون هذه القاعدة الاستشراقية العلمية من تلاميذ للمستشرقين تلقوا تعليمهم العالي في جامعات ومعاهد الغرب تحت إشراف المستشرقين وبدون وجود أساس ديني وأخلاقي قوي يحصنهم ضد الآراء الاستشراقية "[3].

وكان من ثمار هذه الدراسة التي تلقاها أبناء المسلمين في بلاد الغرب على أيدي المستشرقين، أنهم تشبعوا بالثقافة الغربية بمختلف نظرياتها ثم: " عادوا إلى بلادهم ـ أو بقوا في الغرب ـ يرددون النظريات والشُبه الاستشراقية ويقومون على شرحها، وتفصيلها، وتطبيقها في تخصصاتهم. وقد كان لهم دور كبير في نشرها نظراً لأنهم يكتبون بالعربية، أو بإحدى لغات

[1] ـ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، المرجع السابق، ص87.

[2] ـ المرجع نفسه، ص88.

[3] ـ المرجع نفسه، ص88، 89.

الشعوب الإسلامية "[1]، أي أن النظريات الغربية نجحت نجاحا كبيرا عندما كتبت باللغة العربية وبأقلام عربية، فكان لها صدى كبير في الأوساط العربية الإسلامية، لأنها شرحت وروجت من طرف مفكرين عرب، على خلاف ما كانت عليه سابقا حينما كانت مكتوبة بلغة أوروبية، حيث لم يكتب لها أن تتجاوز الأوراق والكتب التي كتبت فيها.

ويقول " محمود شاكر " أن الفرنسيين قد أقنعوا " محمد علي "، بعدما فشلوا في إقناع من كان قبله في إرسال البعثات العلمية لعدد من الطلاب من أجل الدراسة في فرنسا، وهو الأمر الذي تحقق لهم مع " محمد علي "، حيث: " كانت أوّل بعثة في سنة 1826م (سنة 1241ه)، فيها 44 تلميذًا، أدخلهم مسيو جومار المدارس الفرنسية، ليتلقّوا اللُّغة والعلومَ والفنون، ثم أعيدوا بعد سنوات قلائل إلى بلادهم يتولَّون المناصب والأعمال "[2]، أي أن الغرب حرصوا من خلال الغزو الثقافي على تغريب الفكر العربي الإسلامي، وذلك من خلال فكرة البعثات العلمية إلى الدول الأوروبية.

ولعل ما يمكن استخلاصه من الدافع الثقافي، هو حرص المستشرقين على تشويه الثقافة العربية الإسلامية، وذلك بإتباعهم عدة طرق مثل، تشتيت وتشويه الجهود الفكرية والثقافية للعرب والمسلمين، وكذا نشر المذاهب والنظريات الغربية، والعمل على إيجاد وإقناع مفكرين من العرب والمسلمين كي يتبنوها وينشروها، وهو ما كان لهم بالفعل، وكل هذا الجهد المبذول من طرف المستشرقين بغية أن ينشغل المفكرون العرب والمسلمين بالرد على هذه النظريات والآراء، وعليه يكون إبعاد العلماء المسلمين من التفكير في القضايا الإسلامية الحقيقية التي تهمهم في حاضرهم ومستقبلهم.

[1] _ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، المرجع السابق، ص89.

[2] _ محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 1997م ، ص142.

أمَّا ما يمكن استخلاصه من جميع هذه الدوافع التي ذكرناها آنفا، وهي الدوافع الدينية، والسياسية الاستعمارية، والاقتصادية، والعلمية، والثقافية، فيمكن القول أنها دوافع تتداخل مع بعضها البعض وتخدم بعضها البعض، حيث نجد أن :

* مجموعة من المستشرقين جندوا دراساتهم من أجل النيل من الدين الإسلامي الحنيف، ومن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال مجموعة من الادعاءات، والافتراءات، والشبهات، والأقاصيص الكاذبة.

* في حين كان فريق آخر من المستشرقين، قد جعلوا دراساتهم وبحوثهم لخدمة المصالح السياسية والاستعمارية والإقتصادية، لصالح دولهم الغربية.

* بينما كان فريق آخر قد جند جُل دراساته الاستشراقية بطريقة علمية محضة، غير أنها كانت عند فريق منهم ذاتية تمتاز بالعصبية والاستعلاء مزورة للحقائق، تهدف إلى خدمة دولهم الغربية في المقام الأول والأخير، وعند فريق آخر كانت بحوثهم أو دراساتهم الاستشراقية ذات طابع علمي، تمتاز بنوع من الموضوعية والشفافية، تهدف إلى خدمة العلم والوصول إلى الحقائق بعيدا عن العصبية العمياء، على الرغم من النقائص التي كانت تعتريها، للأسباب التي ذكرناها في الهدف العلمي التزيه، مثل عدم التمكن من ناصية اللغة العربية.

4 _ مواضيع الدراسات الاستشراقية :

لقد سعت الدراسات الاستشراقية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، متخذة في سبيل ذلك مجموعة من الدوافع، والتي سبق وأن أشرنا إليها آنفا، من دوافع دينية، وسياسية استعمارية، واقتصادية، وعلمية، وثقافية، والتي وإن اختلفت شكلاً فهي تتفق جوهرا، ولأجل تحقيق هذه الأهداف، فقد تناولت الحركة الاستشراقية جملة من المواضيع، قد ذكرها جَمعٌ من الباحثين، نذكر منها على سبيل الذكر مثلاً : الدراسات الإسلامية، الدين الإسلامي كعقيدة وشريعة، السنة النبوية، التاريخ العربي والإسلامي، اللغة العربية وآدابها، وغيرها من المواضيع الكثيرة.

ولعل ما يعنينا في هذا المقام هو اللغة العربية وآدابها لارتباطها بموضوع بحثنا هذا، إذ أن الدراسات الاستشراقية، قد أعطت أهمية بالغة للغة العربية، لما لها من أهمية في نفوس العرب والمسلمين، كيف لا وهي التي جمعت المسلمين ووحدت صفهم باعتبارها: " لغة الجميع من المحيط إلى الخليج، بل تجاوزت هذه الحدود فأصبحت لغة المسلمين في المعمورة كلها فبها يقرؤون القرآن الكريم، وبها يتفاهمون فيما بينهم وبها يدعون الله العلي القدير، فوجودها وجودهم، وحياتها حياتهم، وتراثها تراثهم، وقوتها قوتهم، وأدبها أدبهم "[1].

وهذه العلاقة المتينة بين اللغة العربية والمسلمين الناطقين بها، جعلت المستشرقين يجتهدوا في محاربتها، وذلك من خلال الترويج لبعض الشبه والافتراءات النابعة من روح حاقدة عصبية لا تمت إلى العلم بصلة، حيث إنهم قالوا مثلاً: " أن العربية الفصحى لغة قديمة وميّتة، و لم تعد تصلح لتطور المجتمع، ومواكبة العصر، وأن اللغات العاميّة الدارجة، هي أفضل حالاً، وأنفع شأنًا، وأكثر التصاقًا في معايشة الواقع، وأشدّ التزامًا بوحدة أبنائه "[2]، أي أنهم بدءوا يروجون لفكرة إحلال العامية مكان الفصحى، معتمدين في ذلك على مجموعة من الحجج والتراهات الواهية، التي تأباها الفطرة السليمة كما يقول أهل الاختصاص في هذا الشأن.

ومن الحجج الواهية التي ألصقها المستشرقون بالعرب ولغتهم، أن عقليتهم _ عقلية متخلفة _ تفكر دائما بالماضي، ولا تأبه بالمستقبل، وهو الأمر الذي جعل العديد من الباحثين يفندون هذه الإشاعات ويردون عليها " كأحمد سمايلوفتش "، الذي يقول أن عظمة العرب ظهرت من خلال: " مقدرتهم على تمثل أفضل ما في التراث الفكري للشعوب التي احتكوا بها... فقد أخذوا من العالم اليوناني المعرفة الرياضية والطبية التي احتقرها الرومانيون، ونبذها المسيحيون جانبا وراحوا يعملون بصبر وجهد في ذلك الطريق الذي ازدراه الإغريق في أوج عظمتهم... وقد اكتسبوا من الهند الأرقام العربية التي لا يمكن الاستغناء عنها، وشكل التفكير الجبري الذي لولاه ما استطاع المحدثون

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص667.

[2] _ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، ط01، بيروت، 1418ه، 1997م، ص42.

قط أن يبنوا على الأسس التي وضعها الإغريق "[1]، فمن خلال هذا يظهر أن العقلية العربية، عقلية إعمال العقل والأخذ بأسباب العلم، وكل ما من شأنه أن يفيد الإنسانية.

وحسبنا في هذا المقام كما يقول النقاد، أن نذكر بأن العرب: " بنوا في القرن العاشر في أسبانيا حضارة لم يَكن العلم فيها مجرد براعة فحسب، بل كان علما طبق على الفنون والصناعات الضرورية للحياة العملية، وعلى الإجمال كان العرب يمثلون في القرون الوسطى التفكير العلمي والحياة الصناعية العلمية اللذين تمثلهما في أذهاننا اليوم ألمانيا الحديثة "[2]، فكانوا ــ العرب ــ في ذلك الوقت أهل حضارة علمية متطورة لم يسبقهم إليها أحد، حتى أصبحت أنموذجًا يحتذى به، ومصدر إلهام لكثير من الشعوب، ولاسيما الأوروبية منها.

ولعل ما يُظهر كذلك تفوق العرب في تفكيرهم وسمو لغتهم، أنهم أمة مشهورة بتميزها الأدبي، ويكفيهم فخرا في هذا: " أن الأدب العربي أقدم الآداب الحية إلى اليوم. فلا الأدب الهندي ولا الأدب اليوناني أو اللاتيني قد عاش بعد أن طلع العرب بأدبهم على العالم. وحسبنا أن نعلم أن أكثر الأدب الأوروبي الحديث قد قام على أسس معروفة في الأدب العربي نفسه "[3]، فتفوق الأدب العربي على الآداب العالمية الأخرى، لهو دليل على تفوق اللغة العربية الفصحى، وأنها لغة حية تتماشى وتتلاءم مع جميع العصور والظروف، وصالحة للاستخدام في جميع الفنون والعلوم، وهذا على عكس الكثير من اللغات التي ماتت و لم نعد اليوم نسمع إلا باسمها.

فأين دراسات هؤلاء المستشرقين من هذا؟ أم على قلوب أقفالها؟ أم هو حسد من عند أنفسهم، وإلا كيف يمكن تفسير هذا، لغة تموت ومع هذا فهي تمدح، ولغة عاشت ولازالت وستظل كذلك ومع هذا فهي تستهدف، وللأسف كما يقول النقاد بحجج ما أنزل الله بها من سلطان.

---

[1] ــ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص640.

[2] ــ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ــ مصطفى خالدي وعمر فرّوخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مرجع سابق، ص220.

ولكن مع كل هذا الحق الذي هو ظاهر للعيان، ولا تشوبه شائبة إلا أنهم ــ المستشرقين ــ قد استطاعوا أن يجدوا آذانًا صاغية، وأقلامًا ساهرة وناشطة تردد مزاعمهم وترهاتهم، حيث تمكنوا من أن: " يستأجروا كُتابًا وأساتذة جامعيين وغير جامعيين، وأدباء وشعراء، يحملون أفكارهم من أبناء الشعوب المسلمة، وينشرونها بأقلامهم وألسنتهم، ليكونوا أكثر تأثيرًا في الأجيال الناشئة، وهؤلاء هم أتباع المستشرقين "[1].

كانت هذه إطلالة سريعة وباختصار على بعض مواضيع الدراسات الاستشراقية، والتي ذكرنا فيها بعض شبه المستشرقين حول اللغة العربية وآدابها، ومن خلالها ذكرنا كذلك إدعاءاتهم حول العقلية العربية، والتي وُصِفت من قِبلهم بالتخلف، وكيف ردّ الباحثون العرب على هذه الافتراءات، مفندين ذلك بالحجة والدليل القاطع، من خلال ذكر بعض ما قام به الفكر والعقل العربي من تكييف للعلوم، و تشييد للحضارة، كالحضارة التي بناها المسلمون في الأندلس، وتفوق الأدب العربي على غيره من الآداب، وهذا التفوق كان نتيجة تميز لغته التي كُتب بها، وهي اللغة العربية الفصحى، التي كانت ولا زالت وستظل لغة العلم والأدب.

[1] ــ عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص137.

ملخص الفصل الأول :

يتضح مما تطرقنا إليه في هذا الفصل، أن الاستشراق تيار فكري، يتجه صوب الشرق، ولاسيما الإسلامي منه، بهدف دراسة حضارته وأديانه وثقافته، ولغته وآدابه، وهذا ما أجمع عليه جُل الباحثين في تعريفهم للاستشراق بالمفهوم العام، في حين كان تحديد الاستشراف بمفهومه الخاص من قِبل الباحثين، على أنه عبارة عن أسلوب تفكير، يسعى إلى إعادة بناء الشرق، ومن ثَم الهيمنة علية من جميع النواحي، بغية التحكم فيه.

أمّا نشأة الاستشراق، فيمكن القول إن هناك شبه إجماع على أن بدايته، كانت مع بداية الدولة الإسلامية في الأندلس، حيث بدأ أندلسياً من حيث التكوين، وتقدم مع الحملات الصليبية، وانطلق انطلاقة فعلية مع بداية القرن الثامن عشر، حيث كانت هناك دوافع وراء انطلاق هذا الاستشراق، منها ما هو ديني، وسياسي استعماري، واقتصادي، وعلمي، وثقافي، وهذه الدوافع وإن اختلفت ظاهراً إلا أنها تتفق جوهراً، أي أنها تتداخل مع بعضها البعض، وتخدم بعضها البعض.

أمّا ما تناوله الاستشراق من مواضيع، فكانت كثيرة، ولعل من أبرزها ما تناولناه في هذا الفصل، وهي اللغة العربية الفصحى وآدابها وعقلية الناطقين بها، فاللغة تعكس شخصية الناطقين بها، وهي مفتاح العلوم والثقافات، لذا سعى المستشرقون إلى إضعافها وتدميرها، لأن إضعافها أو تدميرها هو في الحقيقة تدمير لأصحابها الناطقين بها، ومن ثَم هو زوال لعلومهم وثقافتهم وتفكيرهم، وهو الأمر الذي سعى ولا يزال يسعى وراءه المستشرقون إلى يوم الناس هذا.

الفصل الثاني

الفصحى والعامية في الأدب العربي الحديث من منظور استشراقي

1 _ مسألة الفصحى والعامية

2 _ تاريخ الدعوة إلى العامية

3 _ أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث

توطئة :

لقد استطاع الاستشراق أن يجد لنفسه مكانة في مجال الثقافة الإنسانية بصفة عامة، وفي الثقافة العربية الإسلامية بصفة خاصة، وهذا من خلال أنه وهب كل حياته لدراسة الثقافة الشرقية، ولاسيما العربية الإسلامية منها، ففي المجال الأدبي وإن كانت جُل دراساته تدندن حول الأدب العري القديم، إلا أن الأدب العربي الحديث كان كذلك من أحد أكبر ملفاته، وذلك من خلال الدراسة والتحليل واقتراح البديل.

ولما كانت اللغة هي المرآة العاكسة لحال الناطقين بها، ركز عليها الاستشراق، بل اعتبرها أحد المفاتيح المهمة للولوج إلى الأدب العربي الحديث، وكما يقول النقاد أن كل ما يظهر في لغة مجتمع من نقص أو قصور، ما هو إلا دليل على تخلف ذلك المجتمع، وتأخره في اللحاق بركب الحضارة، والعكس صحيح، أي كلما ظهرت لغة المجتمع قوية إلا كان دليلا على تطور وتحضر هذا المجتمع، فبساطة اللغة هي قصة الحضارة الإنسانية، وحسبنا في هذا المقام أن نذكر ما وصلت إليه اللغة العربية في زمن الفاتحين، حينما أصبحت لغة القرآن هي لغة العلم والحضارة، ومن لا يجيدها ويتحكم في سبر أغوارها، كان بالضرورة متخلفاً و لم يركب بعد موجة الحضارة.

وبهذا أدرك الاستشراق ما للغة من أهمية، وخاصة في المجال الأدبي، باعتباره أحد الطرق اليسيرة لفهم العقلية العربية وطريقة تفكيرها، فراح يدس الدسائس ويزرع الشبهات كي لا تكون اللغة الفصحى، هي لغة الأدب والعلم والفكر، فبدأ يخبط خبط عشواء هنا وهناك، فتراه تارةً يتهم لغة القرآن بالقصور وعدم ملائمة حضارة العصر، وتارة يتهمها بأنها سبب تخلف عقلية الناطقين بها، وتارة أخرى نجده يقترح لها البديل كاللهجات العامية المحلية، وتارة يقترح مناهجه الغربية، وهذا لا لشيء إلا في سبيل السيطرة على هذا الأدب، ومن ثَمَّ إعادة بناءه وتوجيهه بغية السيطرة عليه والتحكم فيه، وهذا لغرض إحداث القطيعة بين الأدب العربي الحديث وماضيه القديم، وعليه حُق لنا في هذا المقام أن نتساءل : ما المقصود بالفصحى والعامية؟ ومتى وأين بدأت الدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى؟ وما مكانة الفصحى في أدبنا العربي الحديث؟.

1 _ مسألة الفصحى والعامية :

قبل التطرق إلى ما أثاره المستشرقون حول مسألة الفصحى والعامية، ولاسيما في الأدب العربي الحديث، لا بأس بأن نعرج على التعريف اللغوي والاصطلاحي للغة الفصحى والعامية.

1 _1 : مفهوم الفصحى :

أ _ لغة :

جاء في كتاب العين " للفراهيدي "(ت:170ه)، في باب " الفاء " لمادة " فصح "، أن الفصحُ هو خلوص الشيء ونقاءه، وأصله في اللبن، إذ يقال: " تَفصيحُ اللَّبن : ذهاب اللَّبأ عنه وكَثرةُ مخضه وذهابُ رغْوته، فَصَّح اللَّبَنَ تَفصيحاً. ورجلٌ فصحٌ فَصُحَ فصاحة، وأفصح الرجلُ القَوْلَ "[1]، أي أن أصل الفصح النقاء، ومنه فصاحة الرجل في القول، أي نقاء قوله.

أمَّا في معجم مقاييس اللغة " لأحمد بن فارس "(ت:395ه)، فقد جاء في كتاب " الفاء " منه في باب " الفاء والصاد وما يثلثهما "، أن كلمة: " فصح: الفاء والصاد والحاء أصلٌ يدل على خلوصٍ في شيءٍ ونقاءه من الشوب، من ذلك: اللِّسان الفصيح: اللَّطيف، والكلام الفصيح: العربيّ، والأصلُ: أفْصَحَ اللَّبَنُ: سكنت رغوته، وأفْصَحَ الرّجل: تكلَّم بالعربيّة، وفَصُح: جاءت لغته حتّى لا يلحَنُ "[2]، فالفصح عند " ابن فارس " له علاقة بالعربية وإجادة اللغة.

وقد جاء في لسان العرب " لابن منظور "(ت 711ه)، في فصل " الفاء " لمادة " فصح " أنها تعني الفصاحة والبيان، حين قال: " فصح: الفَصاحةُ: البَيان؛ فَصُحَ الرجلُ فَصاحة، فهو فَصِيح من قوم فُصَحاء وفِصَاحٍ وفُصُحٍ... والفصيحُ في اللغة: المنطلق اللسان في القول الذي يَعْرف جَيّدَ

[1] _ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج03، مصدر سابق، ص223.

[2] _ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، ط01، بيروت _ لبنان، 1422ه، 2001م، ص819.

الكلام من رديئه "[1]، فكلمة " فصح " عند " ابن منظور " تعني البيان وطلاقة اللسان، والقدرة على إجادة الكلام، وتمييز الجيّد من الرديء منه.

ومن خلال هذه التعريفات نلحظ أن لفظ " فصح "، يدل على نقاء الشيء وخلوصه، ومنه أطلق على اللسان الطليق اللطيف، الذي يجيد استعمال اللغة، من خلال تمييزه بين رديئها وجيّدها، وهو عكس الذي يلحن في القول.

ب : اصطلاحا :

لقد تناول العديد من الباحثين مسألة البحث في اللغة العربية الفصحى من جميع النواحي، ولاسيما تحديد مفهومها، حيث رأوا أنها تتخذ مثلها الأعلى من القرآن الكريم: " فهي اللغة التي نزل بها آخر الكتب السماوية على النبي العربي، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وهي لغة الأدب العربي شعره ونثره، منذ الجاهلية حتى اليوم، واللغة التي تدون بها المؤلفات، والصحف، والمجلات، والمعاملات الرسمية، وتستخدم في الخطابة، والمحاضرات، والندوات، والتعليم، وحوارات النخبة المثقفة في مختلف أرجاء الوطن العربي "[2]، فهي لغة القرآن وهو أشرف وأرقى كلام من جميع النواحي، كما أنها لغة الأدب الجاهلي الذي يعتبر من أرقى الآداب إلى يوم الناس هذا، وبالتالي الفصحى حسب التعريف تستعمل في كل ما هو راقي.

وفي الاتجاه نفسه يرى " إميل يعقوب " أن الفصحى هي لغة القرآن، ولغة كل ما هو رسمي، حيث قال: " اللغة الفصحى هي لغة القرآن الكريم والتراث العربي جملة، والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري عامّة "[3]، فـــ بالإضافة إلى أنها لغة القرآن في المقام الأول، فهي تعتبر كذلك لغة كل ما هو رسمي مثل الشعر والنثر والإنتاج الفكري بصفة عامة.

---

[1] ــ ابن منظور، لسان العرب، مج:02، مصدر سابق، ص544.

[2] ــ محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، دط، بيروت ــ لبنان، 1430ه، 2009م، ص347.

[3] ــ إميل يعقوب بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، ط01، بيروت ــ لبنان، 1982م ، ص144.

وقد رأى آخرون أن اللغة العربية وصلت إلينا في شكل صورتين، صورة أدبية، وصورة شعبية: " أما الصورة الأولى، فإنها تتمثل فيما نسميه بالأدب الجاهلي، أو الآثار الأدبية الجاهلية، من الأشعار والخطب والأمثال والحكم، وهو ما نسميه باللغة العربية الفصحى. أما الصورة الثانية، فلم تصلنا إلينا منها أعمال متكاملة، وإنما نلحظها فيما روي لنا في بطون كتب اللغة والنحو والأدب، متناثراً عن لهجات القبائل العربية الخاصة بها " [1]، أي أن للعربية صورتين، إحداها تتمثل في اللغة الفصحى، والتي نجدها في الأدب الجاهلي على وجه الخصوص، من أشعار وخطب وحكم وغيرها، بينما تتجلى الصورة الثانية في اللهجات العربية الخاصة بكل قبيلة من قبائل العرب، وبتعبير آخر الفصحى تمثل كل ما هو رسمي وراقي متفق عليه، بينما تمتاز اللهجات العربية القديمة مع إجماع العلماءعلى قربها من الفصحى، بالطابع المحلي المحدود.

بينما ذهب " إبراهيم أنيس " إلى أن اللغة العربية، هي تلك اللغة التي: " تتمثل في نصوص تراثنا الأدبي قبل الإسلام وبعد الإسلام، تلك اللغة المشتركة الأدبية النموذجية التي نظم بها الشعراء وخطب بها الخطباء وكتبت بها الرسائل والوصايا قبل الإسلام، تلك اللغة التي انتظمت كلّ أو جلّ أنحاء شبه الجزيرة، والتي اصطنعت في الأمور الجدية من القول "[2]، فهي بهذا التعريف، لغة النصوص التراثية من الأدب في جُل أنحاء شبيه الجزيرة العربية، من شعر، وخطب، ورسائل، ووصايا، سواء قبل الإسلام أو بعده، أي أنها تمثل كل ما هو جدي.

ولعل ما يكمن استخلاصه من هذه التعريفات الاصطلاحية، الخاصة باللغة الفصحى، هو أنها لغة القرآن في المقام الأول، ولغة التراث الأدبي قبل الإسلام وبعده، وهي لغة كل ما هو رسمي وراقي مثل: الشعر والنثر، والخطب والحكم والأمثال، وكل المعاملات الرسمية، أي أنها ترتبط بكل ما هو جدي، أو بتعبير آخر هي لغة النخبة المثقفة في أنحاء الوطن العربي، لأنها لغة الرسميات وكل ما هو جدي، وهذا لأن اللغة الفصحى هي اللغة التي يتكلم بها المتكلم مراعيا في كلامه بها القوانين

[1] ــ رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط06، القاهرة، 1420ه، 1999م، ص77.

[2] ــ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، القاهرة، 2003م، ص188.

والضوابط اللغوية التي استخرجها العلماء عن طريق استقراء كلام العرب، قبل أن تختلط الأمة العربية بغيرها من الأمم.

1 _ 2 : مفهوم العامية :

أ : لغة :

إن مصطلح " العامية " مأخوذ من لفظ العامّ، والذي هو في مقابل الخاص، وهذا الذي ذكره " أبو منصور الأزهري (ت 370ه)" في كتابه " تهذيب اللغة "، حيث قال في " باب العين "، لحرف " العين مع الميم ": " ويقال رجل عُميّ ورجلٌ قُصريّ. فالعُمّي: العامّ، والقُصريّ: الخاص "[1].

أمّا في القاموس المحيط " للفيروز آبادي (ت 817ه)"، في " حرف العين "، فقد جاء: " والتَّامُّ العامُّ من كلِّ أمرٍ، واسْمُ جَمْعٍ للعامَّة، وهي خلاف الخاصة "[2]، فالعام هنا كذلك هو على خلاف الخاص.

كما جاء في " معجم اللغة العربية المعاصرة " في باب " العين " منه لحروف " ع م م " أن كلمة عامَّة هي مفرد لجمع عَوامَّ، وهي تطلق على: " عامَّة الشعب: خلاف الخاصّة منه، من ليسو من الفئة المثقفة ثقافة عالية الجمهور." الأوساط العامّة _ يخاطبُ العامَّة بأسلوب يسير _ رجل من عامة الناس _ طبقة العوامّ "[3].

[1] _ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج01، تح: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط، دت، ص121.

[2] _ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، دط، القاهرة، 1429ه، 2008م، ص1145.

[3] _ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج01، عالم الكتب نشر، توزيع، طباعة، ط01، القاهرة، 1429ه، 2008م، ص1557.

يتضح مما سبق ذكره أن المعنى اللغوي للفظ " العامية "، والذي هو مأخوذ من لفظ " العامّ "، أنه خلاف الخاص، كما دل كذلك على عامّة الناس، وهي طبقة متوسطة الثقافة، ولذا يطلق عليها لفظ العوامّ من الناس.

ب : اصطلاحا :

قد رأينا في التعريف اللغوي للعامية أنها مأخوذة من العام، والذي هو خلاف الخاص، وبالتالي كانت العامية نسبة إلى عامة الناس، بينما كانت الفصحى لفئة خاصة من الناس، وهي الطبقة المثقفة منهم، وبهذا كانت العامية على خلاف الفصحى في الاستعمال، فالفصحى تستعمل في كل ما هو رسمي من الأمور: " أما العامية فهي التي تستخدم في الشؤون العاديّة، والتي يجري بها الحديث اليومي "[1].

ولما كانت طبقة العامة من الناس تشتمل على ما هو مثقف وغير مثقف، كان تأثيرها أي: " العامية التي هي لغة الحديث اليومي، والتي يستخدمها العامة والخاصة على حد سواء، في شؤون حياتهم العادية، في البيت والشارع، والسوق، والمقهى، وحتى في حرم الجامعات "[2].

ويرى " إبراهيم أنيس " أن كلام الناس وأحاديثهم في شؤونهم العامة، من خلال: " الحديث إلى أطفالهم وأجيالهم الناشئة قد اصطنعوا لهجات متباينة، منها انحدرت تلك اللهجات العربية الحديثة التي نشاهدها الآن في البلاد العربية، والتي نلقبها حيناً بالعامية وأخرى بالدارجة "[3]، أي أن الحديث بين الناس في بيئة معينة، وفي أمورهم العامة بينهم، هو ما تولدت عنه هذه اللهجات، التي تم الاصطلاح على تسميتها بالعامية أو الدارجة.

وهذا الأمر هو الذي جعل الباحثين يشيرون، إلى أن ما يقابل الفصحى ليس: " عامية واحدة، بل لهجات عامية كثيرة، تتجاوز في عددها الدول العربية القائمة اليوم، وذلك لأننا نجد في

[1] ــ إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مرجع سابق، ص144.

[2] ــ محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، مرجع سابق، ص347.

[3] ــ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص25.

كثير من هذه الدول لهجات عامية متعددة "[1]، وهذا يعني أن تعدد اللهجات العامية بتعدد البيئات المختلفة في الدول العربية، بل حتى في البلد الواحد نجد الكثير من اللهجات العامية المختلفة عن بعضها البعض، وهذا الاختلاف والتباين من حيث البيئة، جعل من الحديث اليومي العامي للناس يتخذ عدة تسميات، ذكره بعض اللغويين مثل: " اللغة العامية، والشكل اللغوي الدارج، واللهجات الشائعة، واللغة المحكية، واللهجة العربية العامية، واللهجة الدارجة، واللهجة العامية، والعربية العامية، واللغة الدارجة، والكلام الدارج، والكلام العامي، ولغة الشعب...الخ "[2].

ولعل ما يمكن استخلاصه من هذه التعريفات الاصطلاحية للعامية، هو أنها اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية للناس وحديثهم اليومي، حيث يستخدمها من هو مثقف وغير مثقف، لأنها ببساطة لغة الحياة العادية لعامة الناس، والتي ينطق بها المتكلم من العامة من غير أن يقيد نفسه بضوابط أو قوانين، مثل ضوابط وقوانين اللغة الفصحى، بل يكون كلامه عن طريق التأثر مما يسمعه من حوله منذ وعى وسمع، وهذا الذي يفسر تعدد اللهجات العامية بتعدد البيئات، بحيث يظهر لكل بيئة عامية خاصة بها ، حتى في داخل الوطن الواحد.

كما يمكن القول أن العامية ليست هي اللغة التي يمكن اعتبارها في مقابل الفصحى، بل هناك لهجات عامية كثيرة من حيث التسمية، كما ذكرها الباحثون، وتختلف هذه التسميات باختلاف البيئة والجماعة الناطقة بها، مثل ما ذكرناه آنفا: اللغة العامية، اللغة المكية، اللغة الدارجة، الكلام العامي، لغة الشعب، وغيرها.

2 : تاريخ الدعوة إلى العامية :

يرى الباحثون أن العامية ظهرت في البلاد العربية الإسلامية، منذ أن اختلطت الأمة العربية بغيرها من الأمم الأخرى، ولاسيما في الأندلس، حيث ظلت العامية تساكن الفصحى في العالم العربي منذ زمن طويل، متخذة في ذلك نوع من التطور من جيل إلى جيل، ومن بيئة إلى أخرى، غير أن اللغة العربية الفصحى ظلت لغة العلم والأدب والحضارة، منذ أن شرفها الله وأنزل بها كتابه

[1] _ محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، مرجع سابق، ص347.

[2] _إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مرجع سابق، ص144، 145.

الكريم، قال تعالى:﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾، [سورة يوسف ، الآية: 1 ـ 2]، والعامية رغم التطور والانتشار الذي حققته، إلا أنها كانت موضع ذم من طرف كُتاب الفصحى وأدبائها.

ثم ما لبثت أن تحولت إلى دعوة وقضية محورية، في أواخر القرن التاسع عشر: " على أيدي جوقة من المستشرقين الذين راحوا يبشرون بها، ويصطنعون لها الفضائل والمزايا، و لم يصعب عليهم أن يستلحقوا ثلة من مثقفي العرب المستغربين "[1]، فالدعوة إلى العامية بدأت على أيدي المستشرقين المصاحبين للاستعمار والمشتغلين في حقل التنصير والدس على المسلمين، ثم: " حمل الراية نصارى العرب مثل: سلامة موسى ولويس عوض، وفي لبنان يوسف الخال وسعيد عقل. لكن بعض المسلمين أخذها بحسن نية أو رغبة في المال مثل الناشرين في الصحف، فقد ركزوا عليها وأكثروا لها الصفحات "[2].

وقد أعطى المستشرقون لدعوتهم هذه طابع الناصحين، وذلك من خلال تزيين كلامهم بوجهين: أحدهما إيجابي لصالح العامية، من خلال تزيينها للعامة، والثاني سلبي وهو ضد اللغة الفصحى، حيث: " أعطوا العامية صفة اللين والسهولة، والقدرة على تلبية رغبات جميع الأفراد في التعبير عمّا يخطر في أفكارهم ويختلج في نفوسهم، وألبسوا العربية الفصحى صفات التعقيد والشدة والصعوبة، وعدم تلبيتها لرغبات جميع الأفراد في التعبير عمّا يخطر في أفكارهم ويختلج في نفوسهم "[3]، وهذا مكر كما يقول النقاد، نفذ من خلاله المستشرقون إلى قلوب وعقول العرب، بغية الوسوسة وزرع الشبهات حول لغة القرآن.

---

[1] ـ محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، مرجع سابق، ص348.

[2] ـ مسعد بن عيد العطوي، الأدب العربي الحديث، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط01، تبوك، 1430ه، 2009م، ص61.

[3] ـ عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص358.

أمّا فيما يخص أول من دعا إلى اتخاذ العامية كبديل للفصحى، فيعتبر المستشرق الألماني: " ولهلم سبيتا الرائد الأول لكل من كتب في العامية المصرية من الأجانب، ففي سنة 1880م وضع كتاباً في الألمانية عن«قواعد العربية العامية في مصر» ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية، ومن هذا الكتاب انبعثت الشكوى من صعوبة العربية الفصحى "[1]، وقد اعتبرت الدكتورة " نفوسة زكريا سعيد " حسب رأي كثير من الباحثين، أن، كتاب " ولهلم سبيتا " السالف الذكر يعتبر: " أول محاولة جدية لدراسة لهجة من اللهجات العربية المحلية هو الذي خلق في الحقيقة معظم مشاكلنا الأدبية واللغوية التي استنفدت جهدنا ووقتنا في هذا العصر "[2]، وبهذا يعد كتاب " ولهلم سبيتا walahalm sabitana " المفتاح الأول لباقي المستشرقين، الذين ولجوا من بعده إلى الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة لكتابة النصوص الأدبية، ولغة العلم بصفة عامة.

وقد أطلق " سبيتا " بعض التحذيرات، أعقبتها تطمينات، مفادها زرع الشبهات، حين خاطب الشعوب العربية في كتابه السالف الذكر، قائلا لهم: " أن العربية الفصحى لغة صعبة، تقعد بالأمة العربية عن التطور والتقدم الحضاري، وطالب بأن تكون العامية لغة التعليم، وبخاصة للمبتدئين، وانتقد ما سماه «طريقة الكتابة العقيمة بحروف الهجاء»، وحاول طمأنة جمهور المسلمين بأن لغة الصلاة والعبادات الدينية الأخرى ستظل كما هي في كل مكان "[3]، فـــ" سبيتا " في قوله هذا يهاجم اللغة الفصحى من جهة، ويدعو دعوة صريحة إلى اتخاذ العامية لغة للتعليم، ويطمئن ويراوغ من جهة أخرى من خلال الإبقاء على الفصحى لغةً للصلاة والعبادات.

وكان " ولهلم سبيتا " مدركاً أن دعوته الباطلة هذه ستلقى معارضة شديدة، لاسيما من تلك الغيورين على لغتهم ودينهم، المنافحين عنها في كل حين، فنهج نهج المبررات التحذيرية، راجيا في هذا إرضاء الشعور الإسلامي تجاه هذه القضية الحساسة، فقال: " فلماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة إلى ما هو أحسن؟ ببساطة لأن هناك خوفاً من تهمة التعدي على حرمة الدين

[1]_ نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار الثقافة بالإسكندرية، ط01، 1383ه، 1964م، ص18.

[2]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]_ محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، مرجع سابق، ص348.

إذا تركنا لغة القرآن تركاً كلياً "[1]، فهو بهذا أراد التدرج في محاربة الفصحى، وتغليب العامية من خلال الإشارة إلى ترك الفصحى لبعض الأمور، كالأمور الدينية على وجه الخصوص، ولكن هل كان " ولهلم سبيتا " هذا من أهل العربية أو متقناً لها حتى يحكم عليها بالصعوبة؟، وهذا السؤال يجيب عليه " محمود شاكر " في قوله: " ولا شك أن «ولهلم» هذا أقدر الناس على معرفة صعوبة الفُصْحى !! لأنَّه أدرى الناس بها "[2]، فكيف له أن يتحدث عن صعوبة الفصحى، وهو أبعد الناس عن فهمها، وهذا بحكم انتماءه الأعجمي.

وبعدما فتح " ولهلم سبيتا " الباب، حذا حذوه آخرون حاملين هذا المشعل المظلم، حيث كان في مصر كل من: " «كارل فولرس الألماني» خادم الإنجليز، «وويلككس» المهندس المبشر الإنجليزي، وبدأ كلٌّ منهما حركة منفصلة، ولكنها متصلة المعاني "[3]، حيث بدأ كل منهما العمل في مجاله، وهذا باعتبار أن " ولككس walikaks " كان مهندس ريّ، فدخل من هذا الباب، ولكن دعوتهما كانت واحدة: " فألف فولرس كتاباً في «اللهجة العامية الحديثة في مصر»(سنة1890)، ثم تولى ترجمته في سنة 1895 إلى الإنجليزية «بوركيت». وألح على ما ألح عليه «سبيتا»، من صفة العربية الفصحى بالجمود والصعوبة، وشبهها باللاتينية، وشبه العامية بالإيطالية "[4].

وكان غرض " فولرس " الأكبر أن تكون هناك آداب مكتوبة بالعامية الدارجة، تنافس الآداب المكتوبة باللغة الفصحى، وبالتالي يكون القضاء على اللغة الفصحى بطريقة خفية وتدريجية، فكان: " غرضه من ذلك حث العرب على أن تكون للغاتهم العامية الدارجة أداب مكتوبة، في

[1]_ عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص361.

[2]_ محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، ج01، 02، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط، مصر الجديدة، 1391ه، 1972م، ص132.

[3]_ المرجع نفسه، ص134.

[4]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

جميع العلوم والآداب والفنون، لعلها تنافس العربية الفصحى، وتحتلّ مكانها لديهم، وعندئذ تموت لديهم الفصحى بطريقة تدريجية "[1].

أمّا مهندس الري الإنجليزي " ويلككس "، فقد قام بدوره هو كذلك حيث: " ألقى محاضرة ونشرهافي مجلة الأزهر، التي آلت إلية سنة1893، وزعم فيها: أن الذي عاق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم بالفُصحى ودعا إلى التأليف بالعامية، وقال للناس: « وما أوقفني هذا الموقف إلا حبِّي لخدمة الإنسانية، ورغبتي في انتشار المعارف، وما أجده في نفسي من الميل إليكم، الدالّ على ميلكم إليّ» "[2]، فهذا الكلام كما يقول " محمود شاكر " فيه كثير من العاطفة، ما دل على منهج هذا المبشر الذي كان يستعمل في حديثه وعظ المبشرين الذين يلعبون على وتر العاطفة، وكسابقيه فقد شبه " ويلككس ": " الفصحى باللاتينية، والعامية بالإنجليزية !! وهذه براعة خارقة، وزعم أن اللغة الفصحى ماتت، لأنها صعبة وجامدة، ودعا إلى اتخاذ العامية لغة أدبية اقتداء بالإنجليز "[3].

وما كانت الدعوة إلى العامية إلا من باب القضاء على اللغة الفصحى، وبالتالي إحداث القطيعة بين المسلمين ودينهم الحنيف، وتراثهم العظيم الذي لا يخفى على عاقل، من علوم وآداب وغيرها كثير، فكان هذا هدف كبير سعى إليه " ويلككس " من خلال: " القضاء على العربية الفصحى ليحرم المسلمين من دينهم القويم، وتراثهم العظيم الديني والعلمي والأدبي، تنفيذاً للخطة الماكرة المكشوفة التي تهدف إلى طعن الإسلام في الصميم "[4]، فالقضاء على الفصحى هو إحداث القطيعة بين المسلم ودينه، والقضاء على الفصحى هو إحداث القطيعة بين المسلم وتراثه العظيم من دين وعلم وعقيدة وآداب.

---

[1]_ عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص363.

[2]_ محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، مرجع سابق، ص134.

[3]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]_ فاطمة هدى نجا، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، مرجع سابق، ص215.

وتوالت الأيام والسنين، وظهر وجه جديد سلك مسلك سابقيه، حيث تولى هو كذلك الدعوة إلى العامية ومحاربة الفصحى، ففي: " سنة1901 وضع سلدن ولمور القاضي الإنجليزي كتابا في الإنجليزية عن العامية المصرية بعنوان «العربية المحكية في مصر» اتجه فيه وجهة « سبيتا » في دراسة العامية المصرية... واتخاذها لغة أدبية "[1]، فكانت دعوته دعوة سابقيه، من خلال حثه المصريين على الابتعاد عن الفصحى، واتخاذ العامية لغة العلوم والآداب.

وقد ظهر " سلدن selden " في مظهر المحب، كما يقول محمود شاكر لمصر، والخائف على ضياع العامية والفصحى أيضا، حينما خاطب المصريين قائلاً: " ومن الحكمة أن ندع جانبا كُلَّ حكم خاطئ وُجّه إلى العامية، وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد، على الأقل في الأغراض المدنية، التي ليست لها صبغة دينية "[2]، فـــ " سلدن " وعلى غرار سابقيه، يدعو إلى تعميم العامية واعتبارها لغة البلاد، مع المحافظة طبعاً على اللغة الدينية والتي هي الفصحى، وبهذا تبقى الفصحى لغة الدين والعبادة فقط، في حين تكون العامية هي لغة العلم والأدب، وجميع المعاملات، وبالتالي القضاء على الفصحى بطريقة تدريجية، حيث أخذ " سلدن " يردد في كتابه الشكوى: " من صعوبة اللغة العربية الفصحى تمهيداً للمناداة بنبذها والعدول عنها إلى العامية "[3].

وبدأ " سلدن ولمور " يستعمل دهاءه تدريجياً حين خيّر المصريين بين أمرين لا ثالث لهما، وهو إمّا اتخاذ العامية لغة الحديث والكتابة، أو سيضطرون رغما عنهم لاتخاذ لغة أجنبية للحديث والكتابة، وهذا حسب رأيه طبعا لاتصال العرب بالأمم الأوروبية، فهو بهذا يظهر كما سبق وأشرنا إليه في مظهر المحب الناصح، وهذا من أجل أن يصل إلى هدفه الأسمى، وهو إحداث القطيعة بين المسلمين ولغة قرآنهم، وذلك بدعوته المصريين إلى: " اتخاذ العامية لغة أدبية محاولا أن يوهم المصريين بأن معارضتهم لإقرار العامية سيعرضهم لخطر أكبر من الخطر الذي يتحاشونه وهو انقراض لغة الحديث ولغة الأدب معا، وإحلال لغة أجنبية محلهما نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم

[1]_ نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، مرجع سابق، ص25.

[2]_ محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، مرجع سابق، ص136.

[3]_ نفوسة زكريا سعيد، المرجع السابق، ص26.

الأوربية وذلك لكي يحملهم على قبول العامية لغة للكتابة باعتبار أنها أهون الشرين وأخف الضررين "[1].

ودعوة المستشرقين هذه إلى العامية، لم تقتصر على مصر فقط، بل توسعت إلى كل من المغرب والمشرق العربي، ومع الأسف كما يقول عديد الباحثين، فقد انجرّ ورائها العديد من الأدباء والشعراء والمثقفين العرب على اختلاف توجهاتهم وآرائهم، فمنهم من تبنى هذه الدعوة الباطلة ودعا إليها جهارا نهارا، ومنهم من وقف موقفا وسطا، ومن بين هؤلاء على سبيل الذكر: " لطفي السيد، عبد العزيز فهمي، فريد أبو حديد، توفيق الحكيم، أمين الخولي، طه حسين، أحمد أمين، قاسم أمين، وسلامة موسى، والأب رافائيل نخلة، شكري الخوري، الخوري مارون غصن، وأنيس فريحة "[2].

كانت هذه إطلالة سريعة على تاريخ الدعوة إلى العامية في البلاد العربية، ذكرها بعض الباحثين، حيث أجمع جُلهم على أن أول من دعا إليها هو المستشرق الألماني " ولهلم سبيتا " وذلك سنة1880م، من خلال كتابه «قواعد العربية العامية في مصر»، ثم توالت من بعده الدعوات بعد أن قام " ولهلم " بفتح الباب أمام هذه الدعوة الباطلة لغيره من المستشرقين والمبشرين، ومن بين الذين دعوا إلى اتخاذ العامية لغة الأدب والعلم، وقد ذكرناهم آنفا مثل: كارل فولرس ، وولككس، وسلدن ولمور، وغيرهم كثير، غير أننا اقتصرنا على ذكر هؤلاء لأنهم يعتبرون الرواد الأوائل في الدعوة إلى العامية حسب رأي الكثير من الباحثين في هذا المجال، وقد نهج هذا النهج، أي الدعوة إلى العامية، جمع من العرب أنفسهم، على الرغم من اختلاف نياتهم، فمنهم من تبنى هذه الدعوة دون روية وتمحيص، ومنهم من أخذها على حسن نية.

والدعوة إلى العامية هي سهم من السهام المسمومة التي وجهها المستشرقون إلى المسلمين، بغية القضاء على العربية الفصحى لغة القرآن، ومن ثَم تحقيق القطيعة بين العربي المسلم ودينه

[1] _ نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، المرجع السابق، ص27.

[2] _ فاطمة هدى نجا، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، مرجع سابق، ص225، 226.

وتراثه المختلف من علوم وفنون وآداب، وهذه الدعوة كما يقول العلماء، دعوة باطلة تستهدف هدم الدين والأخلاق، غير أن العربية الفصحى محمية ومحفوظة بحفظ القرآن الكريم.

3 : أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث :

يعتبر الأدب العربي بصفة عامة والحديث بصفة خاصة، من أكثر الميادين التي نفذ منها المستشرقون إلى العقول العربية الإسلامية، محققين في ذلك نتائج كبيرة، وهذا باعتبار أن الأدب بالنسبة للعرب يُعد ديوانها، ولما كان الأدب العربي يحتل هذه المكانة، تسلح المستشرقون بشتى الوسائل في سبيل النيل منه، وبالتالي النيل من أهله، فأعدوا له العُدة من أجل التحكم فيه وإعادة بناءه، وهذا باعتبار أن الأدب أكثر الميادين سهولة لولوج أي فكر من فكر الأمم.

وفي هذا المجال يقول " محمود شاكر "، أن الدراسات الأدبية هي: " أخطَرُ الدراسات في أمم الأرض جميعا، ولأن الغِشّ فيها خفيّ ينسابُ، وهو لخفائه شديد التأثير في عقول الناس وفي تفكيرهم، وبالغ الضرر في حياة الإنسان عامة، ومنذرٌ بخطرٍ يغتال الفكر الإنسانيّ، ويؤدي إلى تدمير الثقافة والحضارة جميعا... ومعلوم بالبديهة أن الغش والتزييف في العلم لا يؤذيان كأذاهما في الدراسات الأدبية، لأن كشفهما في العلوم سهلٌ وميسورٌ، ولكنه في الآداب عسيرٌ شديد العُسْر"[1].

وعليه كان لزاماً في هذا الباب التطرق إلى أثر المستشرقين في الأدب العربي الحديث بشقيه الإيجابي والسلبي، ولو أن هذا الأخير هو الأكثر تأثيرا، وهو ما يعنينا في بحثنا هذا، وأحسن ما يمكن أن نبدأ به هو تسليط الضوء على النهضة الأدبية الحديثة أولا، أكان للاستشراق اليد الكبرى فيها؟ أم كانت هذه النهضة عربية الانطلاق؟.

3 _ 1 : النهضة الأدبية العربية الحديثة وعواملها :

يرى الكثير من الباحثين أن النهضة الأدبية العربية الحديثة كانت انطلاقتها من داخل الوطن العربي، وعلى أيدي أبنائها في المقام الأول، ثم اعتبار الدور الاستشراقي وما قام به من دراسات في المقام الثاني، فكان من: " المؤكد إذن أن اليقظة الفكرية قد انبعثت من داخل الأمة العربية و لم تأت

[1] _ محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، مرجع سابق، ص145.

من خارجها، وتجسدت في الدعوة الوهابية التي تشربت آراء ابن تيمية البناءة، ولهذا تعتبر الحركة الوهابية بعده « الحركة الإسلامية التي حوت بذور النقد » بصفة عامة وقدمتها إلى الحركات الإسلامية الأخرى في القرنين التاسع عشر والعشرين "[1]، فكانت انطلاقة النهضة الحديثة إذا بانطلاق الحركات الإصلاحية في الوطن العربي، وأول هذه الحركات الإصلاحية هي: " حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة1157ه حتى وفاته سنة1206ه "[2].

والدعوة الوهابية هي: " نسبة إلى الإمام المصلح، شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر، وهي نسبة على غير القياس العربي، فلقد كان الصحيح أن يقال:« المحمدية » إذ أن اسم صاحب هذه الدعوة، والقائم بها هو « محمد » لا « عبد الوهاب » "[3].

وقد أرجع الكثير من الباحثين أن فترة ما قبل منتصف القرن الثامن عشر، كانت نقطة تحول بالنسبة للأمة العربية، من خلال تحررها من قيود الحكم التركي، وانطلاقها نحو نور العلم والتقدم، ولهذا اعتبر الباحثون أن: " الدعوة الوهابية التي انطلقت قبل منتصف القرن الثامن عشر من قلب الأمة القرآنية بداية يقظة العرب في تحرير بلادهم من نير القرون التي عاشتها تحت الحكم التركي الذي قادها إلى الجهل والفقر والضعف، وخاصة بعد أن تبنت الحركات البناءة الأخرى مبادئها وواصل مسيرتها الرجال الصادقون أمثال رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد السنوسي، وخير الدين التونسي ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي، وإبراهيم باديس، ومحمد إقبال، وحسن البنان وغيرهم "[4].

فكل هؤلاء الأعلام كان لهم الدور الكبير في النهوض بالأمة العربي من سباتها، حين نادوا الشعوب بالتشبث بماضي الأمة وتراثها والمحافظة على الثقافة الإسلامية، من أجل العودة إلى ما

---

[1]_ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص435.

[2]_ مسعد بن عيد العطوي، الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص40.

[3]_ محمد حامد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، مطبعة النهضة، دط، القاهرة، 1354ه، ص04.

[4]_ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص437. نقلا عن: جورجي زيدان، بناة النهضة العربية، دار الهلال، دت، ص09 وما بعدها.

كان عليه سلف الأمة، وبالتالي بعث الحياة في الأدب واللغة، وهذا بعد شعورهم بالغربة في وطنهم الأم، نتيجة ما عانوه من تصرفات تعسفية من قبل الدولة التركية.

وبدأت تتوالى وتتعالى الصيحات، من أبناء هذه الأمة المخلصين المصلحين، في سبيل إحداث النهضة الشاملة، فكانت منها نهضة الأدب، وكانت هذه الصيحات مبتدئة: " بمحمد بن عبد الوهاب منطلقة إلى رفاعة الطهطاوي، متجسدة في جمال الدين الأفغاني معبرة بناصيف اليازجي، متبلورة مع محمد عبده، متبنية من عبد الرحمن الكواكبي، تولدت النهضة الأدبية المعاصرة التي تشبه في معالمها العديدة تلك النهضة الأدبية التي قام بها أجداد هؤلاء في الأعصر الإسلامية الأولى، أساتذة أوربا ورواد تقدمها "[1].

وكان شعار هؤلاء الرواد المصلحين الثائرين، أن النهضة يجب أن تبنى أولاً وأخيراً من خلال إرجاعها إلى تراث الحضارة الإسلامية، فكانت منطلقهم، وكما يقول أحمد سمايلوفتش: " لا نجد في أية حضارة أخرى أن أتمت عملية الانتقاء بمثل القوة والموضوعية والعلمية كما أتمت في هذا التراث "[2]، فكانت الحضارة الإسلامية مصدر إلهام لهؤلاء الرواد الثائرين، ومنها كان منطلقهم في إحداث النهضة في الوطن العربي الكبير.

وفي سبيل تحقيق هذه النهضة، ولاسيما أنها كانت تتسم بالشمولية في كل المجالات، كان من البديهي أن يواجه هؤلاء المصلحين العديد من الصعاب في طريقهم، خصوصاً عندما وفدت الثقافة الغربية إلى الشعوب العربية، غير أنهم كما يقول النقاد وبفضل الله ثم اعتمادهم على التراث الإسلامي، كان بمثابة الحجة الدامغة لكل تلك الصعاب والعقبات التي واجهوها، فالتراث العربي الإسلامي مليء بالتيارات الفكرية على مرّ العصور، إلا أن الانقطاع الذي كان يحدث في كل مرة من جهة، وعدم التقعيد لبعض الأفكار والنظريات من جهة أخرى، حال دون حدوث نهضة عربية أدبية مستدامة في جميع ربوع هذا الوطن: " إلى أن ظهر « الهدم » و « البناء » من جديد مع ابن

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص443.

[2] _ المرجع نفسه، ص458.

تيمية، وواصله محمد بن عبد الوهاب ووطده رفاعة الطهطاوي، وأصّله جمال الدين الأفغاني، وطبقه عبد الرحمن الكواكبي، وعمقه محمد عبده وأكمله رشيد رضا وغيرهم "[1].

فكان هؤلاء المصلحين بمثابة المدافعين عن ذات الأمة العربي الإسلامية، لما يتميزون به من عنصر الأصالة في طريقة تفكيرهم، ويقظتهم الفكرية والعلمية والأدبية، فكان كل مفكر من هؤلاء: " يمثل هذا النموذج من « التحليل » و « التحديد »، القديم و « الجديد » و « الأصالة » و « المعاصرة » و « الهدم » و« البناء »في مواجهاتهم المختلفة ودفاعهم عن ذات الأمة حيث يمثلون جميعًا عنصرًا أصيلاً من عناصر اليقظة الفكرية والعلمية والأدبية جميعًا أو على الأصح من الدعائم الأصيلة للنهضة العربية الحديثة حتى جعلوا إحياء التراث على هذا الأساس من أهم العوامل لعصر الانبعاث، بحيث يتبين جليّا دور إحياء التراث في جميع الاتجاهات الفكرية والثقافية والأدبية في النهضة العربية الحديثة[2].

كانت هذه الثلة من المصلحين التي ذكرناها، تمثل بلاد الحجاز ومصر على وجه الخصوص، غير أنه توجد حركات إصلاحية كثيرة في الوطن العربي الكبير، أسهمت هي كذلك في حدوث النهضة العربية الحديثة بصفة عامة، والأدبية بصفة خاصة، وسنذكر منها بعض الحركات على سبيل المثال لا الحصر.

فمن بين هذه الحركات الإصلاحية التي أسهمت في النهضة الحديثة نجد: " الحركة السنوسية ــ التي ناهضت الاستعمار أشد مناهضة دينية، ولم يناهض الاستعمار في البلدان الإسلامية إلا دعوات إسلامية إصلاحية، وهذه الحركة السنوسية مذهب من مذاهب التصوف لها زواياها وأربطتها، وقد قام مؤسسها السيد إدريس السنوسي عام 1922م بمحاربة الاستعمار الإيطالي في ليبيا، وهرب إلى مصر حيث أعد كثيراً من المجاهدين كان فيهم عمر المختار الذي دوخ الإيطاليين أشد تدويخًا "[3].

---

[1] ــ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق ، ص458.

[2] ــ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ــ مسعد بن عيد العطوي، الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص41.

كما كانت هناك حركة إصلاحية أخرى في السودان، جرى حولها: " خلاف كبير وهي الحركة المهدية التي ظهرت في السودان بقيادة محمد بن مهدي، الذي نادى إلى صفاء العقيدة، وهي حركة مضطربة عليها مخالفات كثيرة حيث ادعى محمد أنه هو المهدي المرتقب، وجعل أنصاره على كتائب سمى كل كتيبة باسم خليفة من الخلفاء الراشدين، ولكن المهم أن هذه الحركة ناهضت الاستعمار، واجتمع حولها كثير من الشعراء، كما تبنت اللغة العربية "[1].

3 _ 2 : الحركة الإصلاحية في الجزائر ودورها في النهضة الحديثة :

لقد كان للجزائر دور بارز في حدوث النهضة الحديثة في الوطن العربي، وهذا من خلال توفرها على ثلة من العلماء المصلحين الذين أسهموا في بناء هذه النهضة، وذلك من خلال تواصلهم مع إخوانهم في ربوع الوطن العربي، عن طريق الحج من جهة، ومن خلال بعض الصحف التي كانت تصدر هنا وهناك، مثل جريدة المنار في مصر، وتعتبر: " محاولة الأمير عبد القادر الفكرية من أهم المحاولات الجزائرية الحديثة في ميدان النهضة، وهذا ما حمل جرجي زيدان على أن يجعله في كتابه « بناة النهضة العربية » من القادة والساسة، بل كان أول شخصية تحدث عنها في كتابه هذا "[2].

فبوادر النهضة الحديثة في الجزائر إذاً بدأت مع الأمير عبد القادر (ت1300ه/1883م)، حيث إنه قام بثورة سياسية في المقام الأول ضد المستدمر الفرنسي، مرفقاً إيّاها بثورة فكرية، كان لها دور في إثارة الضمير الجزائري من أجل النهوض به، ولهذا يمكن اعتبار: " الأمير عبد القادر أول من أثار الضمير الشعبي الجزائري، وبذر بذوراً بقيت تنمو في القلوب، وتمتد جذورها في الأرض الطيبة التي يجدر بالعالم الإسلامي أن يفخر بها، ويسميها بحق « أرض الشهداء » وبجانب ما للأمير من ثورة سياسية فإنه أضاف إليها ثورة فكرية "[3].

---

[1] _ مسعد بن عيد العطوي، الأدب العربي الحديث، المرجع السابق، ص41.

[2] _ عمّار الطالبي، آثار ابن باديس، مج01، الشركة الجزائرية، ط01، الجزائر، 1388ه، 1968م، ص15. نقلاً عن: جرجي زيدان، بناة النهضة العربية، دار الهلال، القاهرة، دت، ص12 _ 22.

[3] _ المرجع نفسه، ص16.

وبالإضافة إلى الأمير عبد القادر الذي بذر البذور الأولى في قلوب وعقول الجزائريين، هناك مجموعة أخرى من العلماء أسهمت في الحركة الإصلاحية الجزائرية، فكان لها دور في إيقاظ الضمير الجزائري، الذي عانى من ويلات الاستدمار التجهيلية والإلحادية والتنصيرية، حيث كان لهؤلاء المصلحين محولات إصلاحية في الأمة الجزائرية، نذكر منهم على سبيل المثال : صالح بن مهنا، عبد القادر المجاوي، حمدان لونيسي، إبراهيم مكي، المولود الزريبي، عبد الحليم بن سماية، محمد بن مصطفى بن الخوجة، محمد بن القائد علي، أبي القاسم الحفناوي، محمد بن أبي شنب[1].

لقد قام هؤلاء الأعلام الذين ذكرناهم آنفا، بمحاولات إصلاحية لخدمة هذه الأمة وتحقيق نهضتها المرجوة، غير أنها وُصفت بالجزئية والفردية، أي أنها لم تحقق الشمولية التي تعم جميع ربوع الوطن، فكانت محاولات معزولة هن وهناك، في مناطق خاصة بكل مصلح من هؤلاء، حتى فتح الله على الأمة الجزائرية بالعلامة المجدد المصلح الثائر، عبد الحميد ابن باديس (ت1359ه / 1940م)، الذي أعطى للحركة الإصلاحية طابع الشمولية، حيث استطاع بتوفيق من الله أن ينفذ إلى أعماق الضمير الجزائري على مساحة كبيرة من ربوع هذا الوطن، فلقيت دعوته المباركة قبولاً كبيراً لدى الشعب الجزائري، وهذا الذي جعل الباحثين يرون أن جُل المحاولات التي: " سبقت الشيخ ابن باديس كلها جزئية فردية غير شاملة للوطن كله كما أشرنا من قبل، وتاريخ الثورات في الجزائر كان على هذا النحو حتى جاءت ثورة نوفمبر1954م فعمت، والثورة الفكرية إنما حاولت أن تكتسب الصبغة العامة في عهد ابن باديس، ففترته فترة ذهبية خصبة من فترات الصراع الفكري، والعمل على تغيير المجتمع في تاريخ الجزائر المعاصر، فـــ " ابن باديس " هو الذي أدخل الجزائر حركة النهضة الإسلامية العامة "[2]، وبهذا استحق ابن باديس أن يكون رائد الجزائر الأول في نهضتها الحديثة.

هذا فيما يخص الحركات الإصلاحية ودورها الريادي في قيام النهضة العربية الحديثة، والتي يعود لها الفضل في المقام الأول كما يرى بذلك جُل الباحثين والنقاد.

[1] ــ ينظر: عمّار الطالبي، آثار ابن باديس، المرجع السابق، ص19 وما بعدها.

[2] ــ المرجع نفسه، ص71.

3 ـ 3 : الاستشراق ودوره في النهضة الحديثة :

لقد اعتبر الكثير من الباحثين الاستشراق كذلك من أهم عوامل النهضة الأدبية الحديثة، وهذا بعد الحركات الإصلاحية من ناحية التأثير طبعًا، حيث عُدَّ الاستشراق: " من أهم العوامل في النهضة الأدبية الحديثة والاتصال بالفكر الأوربي بجانب ترجمة ما قام به المستشرقون من جهد في سبيل اللغة العربية وآدابها "[1].

وكان " أنور الجندي " أكثر دقة ووضوحاً، عندما قام بتحديد أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث، حيث رأى أنه كان له أثران واضحان، أخضع من خلالهما الكثير من الأدباء العرب لنظرته ومنهجه، الذي ابتغاه أن يكون للأدب العربي، فكان الأثر الأول هو: " توحيد الدارسين العرب والمسلمين في معاهد الغرب إلى اتخاذ مناهج الأدب الغربي أساساً للبحث والتماس أسلوب النقد من نظريات الأدب الأوربي، كذلك التماس أسلوب التاريخ والبحث جميعاً، وهذا هو ما ظهرت نتائجه بوضوح مما قام بتطبيقه أحمد ضيف وطه حسين ممن درسوا في فرنسا أو عبد الرحمن شكري ممن درسوا في إنجلترا أو ما أخذه من اتصل بالمستشرقين خارج المعاهد كأمين الخولي أو مَنْ نقلوا هذه المذاهب من غيرهم كالمازني والعقاد "[2]، فكان لهذا التوجيه الاستشراقي أثر واضح من خلال هؤلاء الثلة من الأدباء العرب، الذين تبنوا مجموعة من مناهج ونظريات بعض المستشرقين، وقاموا بتطبيقها على دراساتهم النقدية والأدبية.

أمّا الأثر الثاني الذي رآه " أنور الجندي " هو متعلق بالمستشرقين أنفسهم، وهذا من خلال نظرياتهم في الأدب العربي، أو من خلال إشرافهم على بعض الرسائل والأطروحات، التي كانت مِنْ قِبل بعض الدارسين العرب في معاهد الغرب، حيث أخضعوهم لمناهجهم الخاصة بهم، وألزموهم بتطبيقها على أطروحاتهم، وهذا ما سماه أنور الجندي بـــ: " آثار المستشرقين أنفسهم ونظرياتهم في الأدب العربي التي جاءت نتيجة دراساتهم له من أمثال مرجليوث وجب وبروكلمان

[1] ـ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص458.

[2] ـ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الكتاب اللبناني، ط02، بيروت ـ لبنان، ص235.

وبلاشير وجاك بيرك. ويتصل بها ما كتبه العرب من الذين درسوا في معاهد الغرب من رسائل وأطروحات خضعوا فيها لمناهج أساتذتهم أو تأثروا فيها بمفاهيمهم. والدكتور طه حسين لا يتوقف لحظة... من أن يعلن تبعيته الواضحة لآراء المستشرقين وخضوعه لمناهجهم في البحث. وهو لا يخضع لمنهج واحد، وإنما تتشكل كتبه بالخضوع للمذاهب المختلفة "[1]، أي أن المستشرقين قاموا بفرض منطقهم ونظرياتهم من زاويتين : الأولى من خلال دراستهم للأدب العربي من وجهة نظرهم الخاصة، والثانية من خلال تأثيرهم على طلبتهم العرب الذين فرضوا عليهم مناهج ونظريات غربية في أطروحاتهم.

وهذا الكلام لا يعني أنه لا توجد مزايا وايجابيات، قدمها الاستشراق خدمة للنهضة الأدبية الحديثة، بل على العكس هناك بعض المزايا والايجابيات التي ذكرها العديد من الباحثين، والتي كان لها دور في نهضة الأدب العربي الحديث، حيث نجد أن الاستشراق قد أسهم في ازدهار الطباعة وظهور الصحافة، بالإضافة إلى نشره للتراث، والأدلة على هذا كثيرة قد تعرض لها العديد من الباحثين، مثل ذكرهم أن الاستشراق قام بطبع الكتب العربية منذ القرن السادس عشر، كما أنه هو من جاء بالمطابع إلى العالم العربي، وذلك أثناء الحملة الفرنسية على مصر، كما أنه قام بإنشاء الجمعيات وأصدر المجلات، وقام بنشر البحوث وتأليف الموسوعات، كما يرجع له الفضل في أنه قام ببعث المخطوطات من قبورها، وذلك من خلال قيامه بجمعها وترجمتها وتحقيقها[2].

ولعل ما يمكن استخلاصه من هذا كله، هو أن النهضة الأدبية الحديثة في الوطن العربي كان قيامها بسبب عاملين بارزين هما : الحركات الإصلاحية والاستشراق، فبعث النهضة الأدبية العربية الحديثة كان في المقام الأول من داخل القطر العربي، متمثلا في الحركات الإصلاحية أولا، وما قامت به من إسهامات في إيقاظ الضمير العربي وشحن الهمم، وذلك من خلال دعوتها الإصلاحية، والمتمثلة في محاربة الاستعمار، ودعوة الأمة إلى الرجوع إلى العقيدة الصافية، والتمسك باللغة العربية وبتراث الأمة، من أجل النهوض من جديد بهذه الأمة. أمّا الباعث الثاني للنهضة

[1] _ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، المرجع السابق، ص236.

[2] _ ينظر : أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص459.

الأدبية العربية الحديثة، كان دون شك الاستشراق، وما قام به من اسهامات عديدة في مجال الأدب، والذي كان سببا في حدوث هذه النهضة، مثل الطباعة وظهور الصحافة وتحقيق المخطوطات وغيرها.

3 _ 4 : اللغة العربية في ملف المستشرقين :

لقد سبق وأن تطرقنا سابقا، في موضوع تاريخ الدعوة إلى العامية، إلى علاقة المستشرقين باللغة العربية الفصحى، حيث تبين حسب الكثير من الباحثين أن المستشرقين هم الدعاة الأوائل إلى إحلال العامية محل الفصحى، فكانوا بذلك أول من شنَّ الحرب على اللغة الفصحى، وكنّا قد تطرقنا إلى هذا بشيء من الاختصار، لأن المسألة كانت تتعلق بتاريخ الدعوة إلى العامية، غير أننا سنتحدث في هذا المقام على عناية المستشرقين باللغة العربية، أو بتعبير آخر ما الذي حمل المستشرقين على الاهتمام باللغة الفصحى؟ وإعطائها كل هذه الأهمية؟.

فالاستشراق أولى عناية كبيرة للغة الفصحى حيث: " حرص على دراسة كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد فيحث في فقهها، وأصواتها، ولهجاتها، ونحوها، وصرفها، وأصولها، ومعاجمها، وأطوارها، وغزارتها، ومادتها، وفلسفتها، وعلاقاتها باللغات الأخرى، وخاصة اللغات السامية، ومميزاتها، وعناصرها، وتاريخها، ونقوشها وكل ما أنتجته هذه اللغة حتى يبدو كأنه قد صب اهتمامه كله عليها، وذلك لصلتها الوثيقة بالإسلام والقرآن والحديث والشريعة على حد سواء "[1]

ولما كانت العلاقة وطيدة ومتكاملة بين الاستشراق والاستعمار والتبشير، من أجل خدمة بعضهم البعض، أو كما سمّاهم " حسن الميداني " في كتابه " أجنحة المكر الثلاثة "، فكان من أولى أولويات هؤلاء المهاجمين لغرض استعمار الشرق على جميع الأصعدة، وكذا من أجل التحكم فيه، وإعادة بناءه وتوجيهه في جميع النواحي، رأوا أن: " تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن أن يتم مادام هناك « لغة واحدة » يتكلمها العرب ويعبرون بها العرب والمسلمون عن آرائهم وما دام هناك « حرف عربي » يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضي. فإذا حمل المبشر والمستعمرون

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص184، 185.

العَربَ، على الكتابة باللغة العامية أصبح لكل قطر عربي لغة خاصة به أو لغات متعددة، ثم إذا هم استطاعوا أن يحملوا المسلمين على التخلي عن الحرف العربي وإحلال الحرف اللاتيني مكانه انقطعت صلة العرب تماما بأدبهم القديم وبالمؤلفات الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية والفكرية. حينئذ يصبح العرب « وحدات » لغوية فكرية غير متعارفة، ثم تتنافر هذه الوحدات مع الزمن فيسهل إخضاعها بجهد أيسر من الجهد الذي تحتاج إليه هذه الغاية الآن"[1].

فكانت هذه إحدى المعارك الكبرى التي تجند في سبيلها أجنحة الكر الثلاثة « التبشير، الاستشراق، الاستعمار »، حيث استطاعوا كما يرى الكثير من الباحثين، أن يخلقوا في الوطن العربي من خلال شبههم ودسائسهم، ما يسمى بأنصار اللغة العامية، وأهل الفصحى، وبغية تحقيق هذا والاستمرار فيه أكثر، فقد: " أدرك المبشرون الأوروبيون قبل غيرهم من الناس، أن من المستحيل عليهم تحقيق انتصار صحيح في ديار العربية، إفريقية كانت أم آسيوية. ما لم يسيطروا على اللسان العربي، ويصبح أداةً طيّعة في أيديهم، لبلوغ ما يتوقون إلي بلوغه "[2].

وكل هذه العناية التي أولاها الاستشراق للغة العربية، لا لشيء إلا لإدراكه: " مكانة اللغات في حياة الشعوب وتقدّمها، وأجمع أصحابه على أهميتها في تقدّم البلاد والأوطان، وعرفوا أبعاد آثارها في مسيرة البشر الحضارية، كونها معيارا أساسيا في تحديد الذات والهويّة الوطنية والقومية، وأداة تفاهم، واكتساب معرفة، وانتماءَ فكر، وبتعبير أدق فإنَّ منزلة اللغة هي بمثابة شريان الأمة "[3]، ولما كان لسان أمة ما هو جزء من عقليتها وحامل فكرها، فقد تعرضت الأمة العربية في لغتها إلى ضربات قاسية على مرّ التاريخ، وما تعرضت أمة لمثل ما تعرضت إليه الأمة العربية في لغتها، كما يقول الباحثون في هذا الشأن، فكانت الهجمات مؤلمة وقاسية ومتوالية، غير

[1] _ مصطفى خالدي وعمر فرّوخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مرجع سابق، ص224.

[2] _ عبد اللطيف شِرَارَه، معارك أدبية قديمة ومعاصرة، دار العلم للملايين، ط01، بيروت _ لبنان، 1984م، ص213.

[3] _ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص43.

أن حفظها _ لغة الضاد _ هو من حفظ القرآن، قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾، [سورة الحجر، الآية : 09].

وقد كانت اللغة العربية في ملف أعدائها قديما وحديثا: " فعلى سبيل المثال لعبَ البرامكة دورًا هامًا في إعادة مجد فارس، وشجعوا كتابًا نالوا من الحضارة العربية، وأفاضوا في ذكر مثالب العرب، وكانت حركةُ التنصير في الحروب الصليبيّة، ثم موجة التتريك العثمانية، التي تقمّصت وجهًا إسلاميًا، وارتدتْ لباسًا دينيًا، والتي هُزمتْ دولتها، وأسقطتْ خلافتها، عقب الحرب العالمية الأولى، حيث شهدت المنطقةُ عمليةً استعمارية حديثة، تمثلت في الهجوم المنظم على اللغة العربية، وتبلورت عند أعداء العروبة من المستشرقين، الذين وجدوا في تغذية اللهجات العامية أنجع الوسائل والأساليب لإحداث الخلل اللغوي... والقضاء على العربية الفصحى "[1].

وربما يتساءل القارئ لهذه الأقوال السالفة الذكر _ وحق له ذلك _ فيقول أن ظاهرة اللهجات ظاهرة قديمة، قدم اللغة الفصحى نفسها، أي أن اللغة العربية الفصحى لطالما كان بجانبها لهجات متعددة، تعدد القبائل العربية، ولكن الإجابة على هذا التساؤل، هو أن الباحثين في هذا الشأن يقولون أننا: " لا نقصد بالعامية وجود لحن عند بعض الأفراد، فتلك ظاهرة قديمة في تاريخ اللغة العربية... ولا نقصد بالعامية اللهجات المختلفة التي ظهرت بين القبائل العربية. إنما نقصد اللغة العامية التي نراها اليوم وقد ابتعدت عن الفصحى بمعظم ألفاظها وتراكيبها حتى كأنها لغة جديدة لا يكاد يكون بينها وبين لغة القرآن صلة إلا صلة واهية لا تعين على تدبر كتاب الله "[2].

إن الاهتمام الأوروبي بملف اللغة العربية الفصحى، هو اهتمام طويل أملته الحاجة، حيث كان من الضروري على الدول الأوروبية الاتصال بالثقافة الإسلامية، وذلك بغية فهم التفكير الإسلامي، ومنه فهم المسلمين وطريقتهم في المحاججة، من أجل مواجهتهم والرد عليهم، حيث

[1] _ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المرجع السابق، ص44، 45.

[2] _ عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي، اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط01، الرياض _ المملكة العربية السعودية، 1429ه، 2008م، ص115.

عقد: " مجمع فينا عام1312م الذي أوصى أن تُدرّس العربية في كبْرى المراكز العلمية الأوروبية : باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينون وسلامنكا وتُعَدُّ هذه الخطوة بداية المحاولات الأوروبية رسميا للاهتمام بالعربية وفضلاً عن ذلك فيمكن أن يُعَدَّ هذا المُجمع نقطةَ تحوّلٍ أو انتصارًا للاتجاه الأوروبي الداعي إلى حرب المسلمين ثقافيًا "[1]، فكان هذا، كما قال الباحثون أول مشروع ضخم أعده أعداء اللغة العربية، إذ حققوا من ورائه مكاسب لا يستهان بها، من خلال تدريس اللغة العربية في دولهم الغربية، وإعطائها اهتمام خاص بغية التوصل إلى الفكر العربي الإسلامي وفهمه، ومن ثَم محاربته.

وكان هذا المشروع، مشروع مدروس، قام به أهل أوروبا، لا لشيء إلا لأنهم: " يدركون أتم الإدراك أن النصر الحقيقي، في صراع الأمم، وتنازع الشعوب، لا يكون على يد الجُنودِ، والأسلحة، والأموال، وأن الهزيمة العسكرية التي يمنى بها شعبٌ ما، لا تعني شيئاً إذا لم تواكبها هزيمة ثقافية "[2].

وتعددت طرق محاربة اللغة العربية الفصحى ومحاولة إضعافها، وذلك من خلال التركيز على مجموعة من الشبهات، مثل محاولة: " تغيير الأحرف العربية إلى أحرف لاتينية، وتغيير قواعد النحو والصرف، وتسكين آخر الكلمات للتخلص من النحو "[3].

وقد تصدر قائمة الداعين الملحين على كتابة العربية، ولاسيما العامية، بالحروف اللاتينية: " المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية لويس ماسينيون. ولقد حاول ماسينيون أن يبث دعوته هذه في المغرب وفي مصر وفي سورية ولبنان خاصة "[4]، وبالتالي كان حامل لواء هذه الدعوة الاستعمار الفرنسي.

---

[1]_ إسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، ط01، عَمان، 1417ه، 1996م، ص377، 378.

[2]_ عبد اللطيف شِرَارَة، معارك أدبية قديمة ومعاصرة، مرجع سابق، ص213.

[3]_ عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي، اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، مرجع سابق، ص116.

[4]_ مصطفى خالدي وعمر فرّوخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مرجع سابق، ص224.

وتواصل مشروع المستشرقين عبر الأزمنة المختلفة، من خلال ما أثاروه من شبه حول اللغة العربية، فكما شككوا في أصالتها في التاريخ القديم، هاهم يشككون في قدرتها في العصر الحديث حيث: " اتهموا العربية في العصر الحديث بأنها لغة عاجزة عن الوفاء بمتطلبات العصر الحديث وغير قادرة على مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي، ووصل ببعضهم الأمر إلى اعتبار اللغة العربية لغة ميتة مثلها مثل اللغة اللاتينية بالنسبة للغات الأوروبية الحديثة "[1].

وتوالت شبههم نحو العربية، كقطع الليل المظلمة، شبهة تعقبها شبهة، حيث وصف هؤلاء المستشرقون اللغة العربية كذلك: " بالجمود وبأنها لغة بدوية لا تصلح للتعبير عن المصطلح العلمي الحديث، وأنها السبب في التخلف العلمي للعرب في العصر الحالي كما أنها السبب في التخلف الحضاري لأنها غير قادرة على استيعاب ألفاظ الحضارة الحديثة "[2]، وفي مقابل هذا الذم العنيف الذي وجه للغة الفصحى، هناك مدح وثناء على: " اللغة العامية وعلى اللهجات العربية المختلفة، ووصفها جميعًا بالمرونة والسهولة والقدرة على التعبير عن المطالب الحديثة، ومدحوها كوسيلة تثقيف للجماهير العربية "[3].

وكل هذا النهج الذي نهجه المستشرقون، لأجل التشكيك في قدرة اللغة العربية، ولاسيما في العصر الحديث، بوصفها غير قادرة على مسايرة التطور العلمي، وهذا لا لشيء إلا: " لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي، وإظهاره مجدبًا فقيرًا لنتَّجه إلى آدابهم، وذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه "[4].

وقد استعملت الدوائر الاستشراقية كل الوسائل المتاحة، في سبيل النيل من اللغة العربية الفصحى، حيث لم تدع بابا إلا طرقته سعيا في تحقيق مشروعها البغيض، ففي سبيل إشاعة اللهجات العربية على حساب الفصحى، أشركت الدوائر الاستشراقية الجامعات الصهيونية في

[1] _ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مرجع سابق، ص119.

[2] _ المرجع نفسه، ص120.

[3] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] _ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، مرجع سابق، ص29، 30.

خدمة هذا الغرض، حيث أعَدّت بعض: " جامعات إسرائيل مسابقة أدبيةً للمواطنين العرب، اشترطت فيها أن تكون الأعمالُ الأدبيّة مكتوبةً باللهجة العامية الفلسطينية، لتُشجِّع فُرصَ انسلاخ اللهجات المحكيّة عن اللغة العربية الأم، تمزيقًا لوحدة البلاد العربيّة، وتحقيقًا لإنشاء قوميّاتٍ مختلفة، لأن مثل هذه المؤسّسات الثقافية تدرك مكانةَ اللغة في توحيد الأمّة "[1].

ويرى الكثير من الباحثين، أن كل هذه المخططات التي جندت في سبيل محاربة اللغة العربية الفصحى، كانت تستهدف من وراء هذا تحقيق مجموعة من الغايات منها: " تدمير مفهوم الإسلام الجامع، بالانشطارية والتشكيك في الوحي والنبوة والقرآن، وتزييف تفسير التاريخ والتراث، وإثارة الشبهات حول الفصحى لغة القرآن "[2].

ولعل ما يمكن استخلاصه حول اللغة العربية الفصحى في ملف المستشرقين، هو أن هذا الأخير قد أعطى أهمية وأولوية كبيرة للغة القرآن، من أجل محاربتها بجميع الطرق، بغية القضاء غليها، أو إضعافها على الأقل، فتسلح في سبيل تحقيق هذه الغاية بمجموعة من الوسائل والشبهات، حيث بدأ في أول الأمر بدراستها على جميع الأصعدة من أجل فهمها، كي يسهل عليه فيما بعد إثارة الشبهات حولها، فرماها بالصعوبة والغرابة وعدم الملائمة للعصر الحديث، وما سطع فيه من علوم ومخترعات حديثة، وبدأ في سبيل تحقيق هذا باقتراح البدائل، كإحلال العاميات المحلية مكانها، بل وصل به الأمر إلى حد اقتراح أن تكتب بحروف لاتينية.

وما كل هذه البلبلة التي أثارها الاستشراق حول لغة القرآن، إلا لغرض فهم العقلية العربية، ومن ثَم محاربتها، من خلال تعطيلها وإعادة بنائها، ومن ثَم التحكم فيها، وبالتالي إحداث الفجوة بين العربي المسلم ودينه، فكانت الغاية الأسمى للاستشراق هي محاربة الإسلام من خلال اللغة العربية الفصحى.

[1] _ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص49، 50.

[2] _ أنور الجندي، التيارات الوافدة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط01، القاهرة، 1414ه، 1994م، ص06.

3 _ 5 : الأدب العربي الحديث في ملف المستشرقين :

لطالما اعتبر الأدب هو مفتاح التعبير عن النفس البشرية، في اتصالها بالكون والحياة، ومن هنا اكتسب طابع الذاتية، حيث يختلف فيه أدب كل أمة عن الأمة الأخرى، وذلك لاختلاف الثقافات والبيئات والمفاهيم والمشاعر، كما يتميز الأدب كذلك بطابعه الإنساني، أي أنه يصدر عن النفس الإنسانية التي تتشابه من حيث مقوماتها وتأثرها بالكون ولحياة، وعلى هذا الأساس كان الأدب العربي، هو الأدب الذي يعبر عن النفس الإنسانية العربية، التي عاشت وتعيش في العالم العربي الإسلامي، والتي تكونت في الثقافة العربية الإسلامية.

ولما كان الأدب العربي يختلف اختلافًا جوهريًا عن الأدب اليوناني بصفة عامة، وعن الأدب الغربي بصفة خاصة، وهذا لأنه يتميز _ الأدب العربي _ بالأصالة والديمومة التي تميزه عن غيره من الآداب، حمله المستشرقون في ملفهم، حيث كان اتصال الأدب العربي بالأدب الغربي على أساس الامتصاص، لا على أساس الاقتباس، ولهذا يعتبر الأدب العربي: " من أكثر الميادين امتلاء بالمخاطر التي توغل فيها المستشرقون إلى أبعد الحدود بمدارسهم المختلفة، و لم ينبع اهتمامهم الكبير هذا من سياحة أو ترف فكري، ذلك أن دراسة الأدب مهمة لدراسة الشخصية التي أنتجته، فالأدب بالنسبة للعرب يعد ديوانها، والمتأمل لتاريخها، والمبرز لعقليتها، والممثل لانفتاحها، والدافع بقدمها إلى الأمام، وظل الأدب العربي بشعره ونثره من الأمور التي شغف بها الاستشراق محاولا معرفة العرب واتجاههم "[1].

ومنذ أن وطأة أقدام المستشرقين بلاد الشرق، وهو يحاول أن يفهم كل ما يصدر عن هذا العالم، بغية الإحاطة بكل ما يتعلق به، لأنه أي العالم الشرقي، لطالما أسال لعاب هؤلاء المستشرقين، لما يحتوي عليه من كنوز في شتى المعارف، وما العصر الذهبي للأمة الإسلامية ببعيد، كيف لا، وهو الذي جعل هؤلاء المستشرقين وغيرهم يتأثروا أيما تأثر بالأدب العربي في عصوره الذهبية، وهذا التأثر لا لشيء إلا لأن هذا الأدب كان تعبيرًا حقيقيًا عن هوية الأمة العربية

[1] _ صالح الدين ملفوف، من قضايا الأدب العربي الحديث في الاستشراق المعاصر، مجلة إشكالات، العدد02، ماي2013، ص33.

الإسلامية، وهو الأمر الذي جعل المستشرقين يولون عناية خاصة بالأدب العربي، فاهتموا: " بكل ما يتعلق به، حيث درس تاريخه، وتطوره، وقيمته وأصالته، وعصوره، ونهضته، وتأخره، وازدهاره، وانحطاطه، وانتحاله، وسرقاته، وتأثره وتأثيره، وأعلامه، وشعراءه، وكتابه، وقد كانت عنايته به أكبر وأشد شغفاً وأوسع انتشارًا، وأصعب دراسة، لأنها محاولة لفهم الشخصية العربية، والإحاطة بها من كل جوانبها، مما يدل على مبلغ أهمية دراسته للفكر العربي عامة والأدب العربي خاصة "[1].

وعلى الرغم من أن دراسة الأدب العربي تُعد من أصعب الدراسات بالنسبة للمستشرقين، كما قال " أحمد سمايلوفتش "، إلا أنهم قد أعدوا العُدة جيدًا _ عُدة الشبهات _ حيث بدءوا في زرع ألغامهم المشبوهة في المقام الأول، فنجدهم مثلا قد شككوا في غنى: " الأدب العربي، وإظهاره على أنه مجدب فقير، بغية أن تتجه الأمة العربية المسلمة إلى آداب الغربيين، وهذا هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يباشرونه "[2].

ولكن ما خفي على المستشرقين أن: " العرب مشهورون بالأدب، ويكفيهم فخراً أن الأدب العربي أقدم الآداب الحية إلى اليوم، فلا الأدب الهندي ولا الأدب اليوناني أو اللاتيني قد عاش بعد أن طلع العرب بأدبهم على العالم، وحسبنا أن نعلم أن أكثر الأدب الأوروبي الحديث قد قام على أسس معروفة في الأدب العربي نفسه "[3].

ويرى الكثير من الباحثين، أن من بين الأسباب التي جعلت من الاستشراق يولي اهتمامًا كبيرًا بالأدب العربي، هو كون هذا الأخير له مزايا متعددة، جعلته محل اهتمام من قبل المستشرقين، ولعل من أبرز هذه المزايا التي جعلت من الأدب العربي يحظى بكل هذا الاهتمام والدراسة، ويحمل محمل الجد في ملف المستشرقين، هو: " صلة هذا الأدب بالإسلام وكتابة القرآن الكريم، أهميته لدراسة الشخصية العربية وفهمها، أثره في آداب مختلفة ومنها الآداب الأوروبية، منزلته بين الآداب

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص185، 186.

[2] _ عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص141.

[3] _ مصطفى خالدي وعمر فرّوخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مرجع سابق، ص220.

العالمية واستمرار تاريخه، اهتمام النزعتين الرومانتيكية والإنسانية معًا بالآداب الأخرى ومن بينها الأدب العربي "[1].

ولما كان للأدب العربي كل هذه المكانة بين مختلف الآداب، احتاجت بعض المذاهب الأدبية الغربية إلى بعض البراهين كي تبرر اتجاهاتها الأدبية، ومن بين هذه المبررات، الاستدلال بالأدب العربي كمرجع فيه النزعة الرومنتيكية والإنسانية مثلا.

ولكن في الحقيقة كما يقول النقاد أن هذا الاستدلال هو عبارة عن نوع من القضاء المدروس على بعض الاتجاهات الأدبية العربية الأصل، والتي كانت موجودة منذ القدم حتى وإن لم توجد لها التسمية، وهو الأمر الذي جعل بعض المستشرقين يسعون إلى إعادة بعثها بطريقة خاصة بهم وبمعتقداتهم، حيث سعوا إلى: " نشر الاتجاهات الأدبية والفنية الغربية، وبعضها يدعوا صراحة إلى الابتذال، والانحلال، والفساد باسم الأدب والفن. ومعظم هذه الاتجاهات مثل الرومانسية، والرمزية، والسريالية في الأدب والفن تعكس قيمًا غربية خالصة، وتعبر عن مشاكل المجتمع الغربي وأزماته، ولا تصلح أبدًا للتعبير عن قضايا المجتمع المسلم المختلف عن المجتمع الغربي في طبيعته وأسسه "[2]، أي أن هذه الاتجاهات بقية في ثوبها الغربي، و لم يقم الأدباء العرب بتكييفها وطبيعة الأمة العربية الإسلامية.

وحتى وإن كان الأدب كما يقال، ظاهرة إنسانية تشترك فيها البشرية جمعاء، غير أن التعبير فيها يختلف من أمة إلى أمة، ومن بيئة إلى أخرى، وعليه كانت الاتجاهات الأدبية الغربية هي: " استجابة لعوامل داخلية ومشاكل المجتمع الغربي، وهي اتجاهات يجمعها الإيمان بالحرية المطلقة للإنسان وللعقل الإنساني "[3].

وهذه الحرية المطلقة التي تنادي بها هذه الاتجاهات للإنسان وعقله معًا، لها ما يبررها في المجتمع الغربي، باعتبار أن هذا الأخير لا يتقيد بقيود الدين، وإن تقيد فهو دين محرف ومكيف

[1]_ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص491.

[2]_ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مرجع سابق، ص94.

[3]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

حسب أهواء هذا المجتمع كما هو معروف، وهو الأمر الذي جعل من انتشار العبثية في الحياة الغربية أمرًا محتومًا، بينما إذا قلدنا هذه الاتجاهات في أدبنا العربي الإسلامي، نجد أنها تتنافى في كثير من الأحيان مع مبادئ العربي المسلم، وبالتالي لا يمكن أن تعبر عن مشاكله وهمومه وحتى أفراحه، لأنها اتجاهات تؤمن بعدم: " جدوى الالتزام بالدين والقيم النابعة منه، والاعتقاد في عبث الحياة الإنسانية وسيادة اللامعقول فيها كنتيجة عكسية للاعتماد الكلي على العقل وما ينتجه من قيم إنسانية نسبية "[1].

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية وغايات أخرى، لطالما تساءل الاستشراق نفسه، عن السبل التي يمكن أن توصله إلى تحقيق هذه الغايات والأهداف المنشودة، فكان من بين ما اعتمد عليه هذا الماكر المارد هو: " طريقة الإنكار لقيمة العقلية العربية، والوقوف ضد الوحدة العربية، والنيل من اللغة القرآنية، والتشكيك في الحضارة العربية كذلك. ولم يشك الاستشراق مطلقًا أن هذه الطرق هي الطرق الرئيسية التي ينبغي أن تؤدي بالغرب إلى هدفه المنشود وهو اقتلاع الأمة العربية من جذورها ثم إذابتها، وأخيرًا انصهارها بحيث تصبح أمة لا حول لها ولا قوة إلا بما يقدم إليها الغرب العملاق "[2].

فالاستشراق بسلوكه هذه الطرق وغيرها كثير، كما يرى الباحثون، جعل من العرب أمة تشكك في عقليتها وتراثها ولغتها، بل والأكثر من ذلك جعلها أمة تنصهر في الحضارة الغربية الأدبية، وتلهف وتولع بكل ما هو قادم من الغرب، ونسوا أن الحضارة الغربية قامت على أنقاض الحضارة العربية الإسلامية.

وهكذا استطاع الاستشراق بمكره وحرصه ومثابرته دون ملل أو كلل، أن يبث العديد من القضايا في الأدب العربي الحديث، ويمرر بذلك جملة من الأفكار الملفقة، جعلت مع الأسف العديد من أبناء الأمة العربية الإسلامية، كما يقول الباحثون، يرددون: " ما قاله رينان وزويمر ولامنس ولورنس ومونك وكرومر، ويلككس ولابي وليوتي، وهانوتو ودوركور وكراوس،

[1] _ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، المرجع السابق، ص94.

[2] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص636، 637.

وغيرهم ، لكي يمهد ذلك كله للانقضاض على القرآن واللغة والآداب ، ويشكك في صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، ويقنع العرب بقصورهم العقلي، ويبرهن للمسلمين على ضعفهم الفكري "[1].

وفي سبيل تحقيق هذا، يواصل الاستشراق بث قضاياه المسمومة، حتى وصل به الأمر إلى محاولة إيجاد مكانة لليهود في الوطن العربي، وذلك من خلال: " خلق تصور زائف بأثر اليهود في الجزيرة العربية، وفي الأدب العربي، ومحاولة إيجاد ترابط بين العرب واليهود والقول بأنهما أبناء عمومة، وذلك كله من محاولات الصهيونية لخداع العرب " [2].

وهذا أمر يحيل مباشرة إلى الهجوم على تراث الأمة الإسلامية، وإثارة الشبهات حوله، ومحاولة الانتقاص من قيمته، حيث عَمَدَ المستشرقون إلى إثارة: " الشبهات حول التراث ورميه بالانتقاص بهدف واضح معروف، هو العمل على قطع حاضر الأمة الإسلامية عن ماضيها، وقد نشأت نظرية مسمومة تقول بأن الماضي معوق للنهضة، وأن على المسلمين أن يفصلوا بين حاضرهم وماضيهم "[3].

وفكرة محاربة التراث والتخلي عنه بحجة أنه معيق للنهضة، نجم عنها ظهور حركة الحداثة في الأدب العربي الحديث، والتي نادت بالتجديد في كل شيء، وعلى جميع المستويات، أي رفض كل ما هو قديم أو تعديله، وهي في الحقيقة كما يقول النقاد تقليد أعمى للغرب، وقد: " ظهرت حركة الحداثة في مذاهبها المختلفة تدّعي أنها حركة تجديد فكري ولغوي، وما هي إلا تقليد أعمى للغرب دون وعي ولا حذر، وتبنّت هذه الحركات الدعوة إلى تجديد الأدب العربيّ بقطع صلته بالأدب العربي الإسلامي الصحيح الذي يسمونه الأدب العربي القديم، والتطلع إلى أدب عربي

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص637.

[2] _ أنور الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، مطابع روز اليوسف، دط، القاهرة، دت، ص177، 178.

[3] _ المرجع نفسه، ص185.

جديد يرتبط بالغرب وحركاته الأدبية المضطربة التي ترتبط جذورها كلها بالوثنية اليونانية وأساطيرها وخرافاتها "[1].

ولكن الغريب في الأمر كما يقول النقاد، أن المستشرقين حينما يثيرون فكرة تجاوز التراث العربي والتخلي عنه، بداعي أنه معيق للنهضة، فهذا القول يتعارض مع أفعالهم هناك، كيف لا ونحن نرى كما يقول الباحثون أن الغرب عندما فجر نهضته، فأول ما بدأ به أنه: " بدأ بإحياء التراث الهليني والإغريقي، والأدب اليوناني والروماني القديم، بعد أن انفصلت عنه أكثر من ألف عام "[2]، بل وأكثر من ذلك نجد هذه الدول الغربية متمسكة بهذا التراث، وتعتبره أصلا من أصولها ورمزاً لبقائها، وهذا ما تؤكده: " جميع مصادر الفكر والأدب والتاريخ أن النهضة الأوروبية في مجال الفن والأدب والحضارة إنما ارتبط وجودها بهذا الماضي، واعتبرته أصلا من أصولها وأساسًا للبقاء، ولم تعتد بأي مظهر من مظاهر الفكر إذا قام منفصلا عن هذه القاعدة المستمدة من التراث"[3].

فهذا موقف الغرب من تراثهم، علما كما يقول " أنور الجندي "، أن هذا التراث قد انقضى وتم الانفصال عنه أكثر من ألف عام، ولغته لغة ميتة قد أحيلت على المتحف وهي اللاتينية، ثم يدعون العرب للتخلي عن تراثهم، فكيف يقبل العرب التخلي عن تراثهم الذي: " لا يزال متصلا لم ينفصل ماضيه عن حاضره لحظة، وعن طريق نفس اللغة التي يستطيع القارئ العربي في القرن العشرين الميلادي أن يقرأ ما كتب بها قبل أربعة عشر قرنًا ويتذوقه ويفهمه، حيث لا يوجد مثيل لذلك في الفكر الغربي كله، ولكن هي الدعوة التغريبية الهادفة إلى عزل المسلمين والعرب عن ماضيهم وتراثهم ومقوماتهم "[4].

ولما لقيت فكرة تجاوز التراث الرفض من أبناء الأمة المخلصين لدينهم وأمتهم، راح المكر الاستشراقي يستعمل طرقًا أخرى، لغرض البقاء في نفس الاتجاه الذي كان عليه سابقا في محاربته

[1]_ عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي، اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، مرجع سابق، ص116.

[2]_ أنور الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص186.

[3]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

للتراث، وذلك من خلال خلقه لحركة ما يسمى بإحياء التراث، ولكنه تراث على الطريقة التي يريدها هو، أي الاستشراق، وهي محاربة التراث العربي مهما كلف الثمن، وذلك بغية قطع حاضر الأمة بماضيها من جهة، ومن جهة ثانية تهدف هذه الفكرة، وهي محاربة التراث العربي الإسلامي القديم، حتى لا يتسنى كذلك للأمة العربية من أن تعرف أن مصادر علم الغرب ونهضتها، إنما هي مأخوذة من الإسلام في المقام الأول، وعليه بنت نهضتها.

ومن أجل السعي دائما وراء محاربة التراث وبأي طريقة، ظهر الهجوم الاستشراقي على التراث في ثوب جديد، وذلك من خلال اهتمام المستشرقين: " بتواريخ وآداب وحضارات الشعوب الإسلامية قبل دخولها في الإسلام من أجل العمل على إحياء النزعات القومية لدى الشعوب، والعودة بها إلى تاريخها السابق على الإسلام، وإحياء العصبيات القديمة، وإحياء العادات والتقاليد الوثنية القديمة "[1].

وهذه الخطة التي نهجها الاستشراق في إحياء التراث، إنما هي خطة تهدف إلى إعادة كتابة التراث بطريقة علمانية، من خلال إفراغ التراث من جوهره، وذلك بالاعتماد على مصادر غير موثوقة من جهة، ومن جهة أخرى إحياء تراث غير إسلامي، ومن ثَم نسبته إلى التراث العربي الإسلامي، وفي سبيل هذا قد ركزت: " حركة إحياء التراث التي قادها التغريب على إحياء التراث الفرعوني، والإغريقي، والجاهلي، والمجوسي الفارسي وتمجيده، وبعث الأساطير البابلية القديمة، وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات المجوسية، والسريانية، والباطنية... وهدم تراث التوحيد الخالص، والبطولة الإسلامية الباهرة "[2].

فإذا نظرنا إلى الأدب الإغريقي الذي غرسه الاستشراق في المجتمعات العربية الإسلامية وفي أدبهم على وجه الخصوص، نجد أن هذا الأدب مبني على الأسطورة والخرافات، وتأليه البشر، وأنصاف آلهة وبشر، وأنصاف بشر و حيوانات، وذلك كله بهدف زرع الوثنيات الإغريقية القديمة، وأساطير الإغريق تدور في أغلب الأحيان حول الحب والخمر والجوانب الإباحية المنحلة،

[1] _ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مرجع سابق، ص96.

[2] _ أنور الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص189.

فجل مسرحياتهم تصور الحب العنيف الذي تراق في سبيله الدماء وزهق الأرواح وإشعال الحروب، وهذا يتنافى مع ما عند العرب من الحب العفيف، الذي يمتاز بالوفاء، ويبعث على المروءة.

وهذا الجانب من الأساطير الإغريقية، غريب على المجتمع العربي وأدبه، وحتى على العقلية العربية، التي لا تؤله أبطالها، ولا حتى تجعل منهم أنصاف آلهة، وهذا كله يجيب عليه عصر الفتوحات الإسلامية، وما ظهر فيه من أبطال قلّ نظيرهم في الأمم الأخرى، ومع ذلك فإن الأدب العربي لم يصفهم بأنهم أبطال غير عاديين، وإما تكلمت عليهم الأمة العربية بالحق والقول الموجز، وبالتالي فإن الأدب الإغريقي يصور واقعه بشيء من الخرافات واللامعقول يتنافى مع الواقع، والفطرة البشرية، بينما كان العربي ولا يزال يعبر عن واقعه بالشعر الواضح البين، الذي لا غموض فيه، ويعكس واقعه المعاش بطريقة فنية جمالية[1].

لقد تعمد الاستشراق تشويه الأدب العربي بكل الطرق: " لقد شوه الاستشراق علومنا وفكرنا، إن كتاب ألف ليلة وكتابات المعتزلة وإخوان الصفا هي الأعمال التي يمجدونها في التراث، ويظهرونها لنا، ويزعمون أنها هي التيار العقلاني "[2]، ويرى الكثير من الباحثين، أن سبب انتشار القصص العامية في الأدب العربي هم الفرس وأساطيرهم الخرافية، والشعوبية المندسة في وسط الأمة العربية، والتي كانت تقودها الفرس، فعندما عجزوا على إزالة الدولة الإسلامية بالسيف، عمدوا إلى نسفها بتشويه صفاء الطبع المجبولة عليه الأمة العربي، ولعل من أبرز هذه الأساطير التي نشرتها الشعوبية المندسة، نجد كتاب مثل كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة.

فكتاب ألف ليلة وليلة مثلا نجد أن معظم قصصه قد حوت على مواقف إباحية، وأشعار يسعون من ورائها النيل من التماسك والرجولة في الأدب العربي، وهذا كله مخالف للفطرة والسجية العربية الإسلامية، التي تنبذ التخنث والفحش وغيرها من الصفات القبيحة، كما نجد أن جل أساطير ألف ليلة وليلة تنسب إلى الأصل الفارسي، وعليها إضافات من أساطير يونانية وهندية وفرعونية قديمة، وبالتالي هي لا تمت إلى الذات العربية ولا تتصل بها لا من بعيد ولا من قريب،

[1] ــ ينظر: أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص351، 353.

[2] ــ أنور الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص191.

غير أنها مكتوبة باللغة العربية فقط، وحتى مؤلف هذا القصص هو مجهول، وإنما هي قصص لرواة وقصاصين كُثر، كما أنها تصور خرافات مثل العفاريت والطلاسم، وخاتم سليمان، وتعلي من شأن بعض العادات، مثل الرقص والغناء والخيانة الزوجية وحيل العجائز في الجمع بين العشاق، حتى أن هذا الكتاب يبدأ بخيانة زوجة الملك شهريار له، كما تجمع بين خيانة المرأة وغدر الرجل، ومن العادات القبيحة في هذه القصص، خنوثة الرجل وداء الغلمان.

ومن أجل تشويه الأدب العربي الإسلامي، يصر الكثير من الباحثين الغربيين على اعتبار كتاب ألف ليلة وليلة من المصادر العربية الإسلامية في الأدب، وكان للصهيونية العالمية دور في هذا المجال، فالدكتور " ولفسون wolfson " أستاذ اللغة العبرية بالجامعة المصرية، ألقى محاضرة بتاريخ (15ماي 1932م)، تحدث فيها عن القصص اليهودية الموجودة في ألف ليلة وليلة، وذكر بعضا منها مثل: السندباد البحري التي يعتقد أن موضوعها مقتبس من التلموذ، وكذا ذكر النبي سليمان عليه السلام والعفاريت كلها في اعتقاده لليهود[1].

ويرى الكثير من الباحثين أن هذا الاهتمام الاستشراقي: " بالآداب القومية والإقليمية والشعبية فيه تفتيت للوحدة اللغوية عند المسلمين، وهو دور تقوم به اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم التي يستخدمها المسلمون في كل مكان. فالتركيز على الآداب الشعبية والإقليمية يؤدي بطبيعة الحال إلى تفضيل استخدام اللغات واللهجات المحلية والقومية كلغة للتعبير عن مضامين قومية وشعبية، وهجر اللغة الفصحى "[2].

ويضيف " أنور الجندي " في هذا السياق قائلاً أن المستشرقين ودعاة التغريب، في حقيقة الأمر: " أنهم نقلوا المسلمين إلى أرسطو ونقلوا أنفسهم وقومهم إلى منهج المسلمين "[3].

وحتى الأدباء والشعراء الذين يفتخرون بالعروبة والأصالة والذات الإسلامية، تعرضوا للهجمات الاستشراقية الشرسة ، فهذا: " بلاشير في كتابه عن المتنبي الذي أصدره عام 1928م

[1] _ ينظر: أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص354، 356.

[2] _ محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مرجع سابق، ص98.

[3] _ أنور الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص191.

فإنه يحمل على هذا الشاعر حملات عنيفة ويهاجم كل من كتب عنه في العصر الحديث "[1]، ولماذا المتنبي بالذات؟، لأنه كما يصفه الكثير من الباحثين، شاعر يميل إلى الاعتزاز بالذات العربية الإسلامية ويدافع عنها، ولا يلتفت في شعره إلى أمور الزندقة والانحراف، كما فعل غيره ممن عاصروه، وهذا ما جعله محل فخر وقدوة لكثير من الشعراء المعاصرين، ولهذا كانت محاولات: " بلاشير وماسنيون وفون كريمر ودي ساس من منطق الحقد على مكانة هذا الشاعر عند العرب وعند الأدباء المعاصرين إذ يعتبره العرب أبين منطقاً عن الشخصية وأشدهم اعتزازاً بها وتقديراً لها وسعيا لإبانتها "[2].

والحملات الزائفة التي شنها المستشرقون على المتنبي وغيره من شعراء وأدباء العربية المخلصين لتراثهم ودينهم، إنما كانت من باب إعلاء مكانة المنحرفين من شعراء وأدباء هذه الأمة، على حساب هؤلاء الملتزمين، وذلك بهدف إحداث الخلل في أدب هذه الأمة، ومحاولة تغليطها، ولذا واصل الاستشراق من حفره الزائف في الأدب العربي، وذلك من خلال الإعلاء من شأن بعض: " التابعين من أدباء الرفض والحاقدين على العرب وللإسلام وقد جمعهم " جاك بيرك " في كتابه مختارات من الأدب العربي الذي أصدره عام 1964 حين تجاهل عمدًا كل أصحاب الأصالة والنتاج المتحرر من شبهات التغريب وتبعية الانحراف نحو مناهج الاستشراق والتغريب، وهو في كتابه يجري مع منطلق جب ونيكلسون وغيره فيعلي شأن ما وصف بأنه النهضة التي قامت بها الإرساليات في بيروت، ويتجاهل ما سبقها من أصول اليقظة الإسلامية الحقيقية برجالها ودعواتها، ويركز كعادة الاستشراق على البستاني واليازجي وجرجي زيدان والذين أوفدتهم الإرساليات، ثم ينتقل إلى جيل المهجر : جبران ونعيمة، ثم يصل إلى طه حسين : الذي وصفه بأنه قام بدور البطل وحمل لواء الشرعية العقلية في أدب البحر المتوسط "[3].

وفي سبيل محاربة العربية الفصحى لغة الأدب، أعلى المستشرقون كذلك من شأن الأدباء العرب الذين يكتبون أدبًا بغير الفصحى، كالكتابة باللغات الأوروبية مثلاً، وهذا كما يقول

[1]_ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص244.

[2]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]_ المرجع نفسه، ص244، 245.

الباحثون موجود بكثرة في منطقة المغرب العربي، ففي الجزائر مثلاً تم الإعلاء من شأن الأدباء الذين يكتبون بالفرنسية على حساب الأدباء الذين يكتبون بالعربية: " فهناك أمثلة ساطعة تدل على أن الدفاع عن الفرنسية ليس بريئًا أو محايد ولكن وراءه دوافع خفية أو علنية. فمالك حداد مثلا لا يذكر اسمه عندنا إلا نادرًا في مناسبات معينة، أمّا في الضفة الأخرى فلا يكاد يذكر اسمه إطلاقًا لسبب معروف وهو دفاعه عن العربية ورفضه الكتابة بالفرنسية بعد الاستقلال، في حين أن غيره يشيدون به محليًا وفرنسيًا مثل كاتب ياسين، ومولود معمري وبن جلون وغيرهم وحتى من الجيل التالي لهؤلاء "[1].

وحتى الذي يعيش بين ظهراني الدول الغربية وتجنس بجنسيتهم لا يتم الرضا عنه، إن لم يكن مادحًا للغتهم، ومتهجمًا على لغة القرآن، فهذا: " محمد ديب قد أخذ الجنسية الفرنسية ويعيش في فرنسا منذ أمد بعيد إلا أنه لا يجد هذا التقدير هناك، ربما لأنه لم يدافع عن الفرنسية _ فيما أعرف _ دفاعًا حارًا و لم يهاجم العربية أو يسخر منها كما فعل بعضهم، لذلك يأتي الحديث عنه وعن أدبه هادئًا فاترًا، بينما ينوه بمن كتب المقالات أو نشر كتابًا واحدًا لمجرد دفاعه كما قلت عن الفرنسية لغة ثقافة أو علم أو أدب "[2].

وهناك العديد من الأمثلة على كُتاب من المغرب العربي، كتبوا أدبهم بالفرنسية إبان الاستدمار، بينما بعد الاستقلال تخلوا عن لغة المحتل، وكتبوا بلغتهم الأم، فتعرضوا لمثل ما تعرض له " مالك حداد "، فمثلا نجد المفكر: " « مالك بن نبي » فرغم أنه كتب بالفرنسية إلا أنه لم يجد التقدير أو الاهتمام بسبب أفكاره الإسلامية غير المقبولة بالطبع من الفرنسيين والعلمانيين، وأيضا لأنه تركها فيما بعد إلى الكتابة بالعربية فتجاهلوه _ محليًا وفرنسيًا _ لأنه خرج من الصف وتمرد على اللغة التي كتب بها في بداية حياته " [3].

[1] _ عبد الله الركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، دار الكتاب العربي، دط، القبة _ الجزائر، 2009، ص97.

[2] _ المرجع نفسه، ص97.

[3] _ المرجع نفسه، ص98.

وفي نفس الاتجاه سعى المستشرقون لمحاربة لغة القرآن في الأدب العربي، وذلك من خلال تشجيع بعض القضايا، ولعل من بين هذه: " القضايا التي اهتم بها أهل الاستشراق استخدام الكاتب العربي للهجة العامية في الإبداع الأدبي، واحتفاء باستخدام العامية والتشجيع عليها، أنشأت الجامعات الغربية كراسِ للهجات العامية "[1].

وكل هذه الملفات الخاصة بالأدب العربي التي أثارها الاستشراق، لا لشيء إلا لحقدهم الدفين على هذا الأدب وأهله، وهذا لأن: " الاستشراق عاجز عن استيعاب روح الأدب العربي وبيان الفصحى، وأنه يخضع للغرض والهوى والهدف المسبق "[2]، ثم كيف يمكن لهذا المستشرق أن يقوم بإصدار أحكامًا عادلة وموضوعية في ميدان الأدب العربي، أو بمعنى آخر هل هو مؤهل ولديه الذوق الكافي كي يصدر مثل هكذا أحكاما، علمًا أن: " الذوق الأدبي عند الناقد يتكون من عوامل شتى بعضها قومي يرجع إلى الجنس وبعضها نفسي يغتذي من الأماني وبعضها لغوي ينحدر من الماضي، وليت شعري كيف يستطيع المستشرق (الغريب) أن يتذوّق البيت الواحد من الشعر وهو إنما تعلم العربية تعلّمًا واكتسبها اكتسابا ثم مارس النقد على كبره وبعد جهد وبين برديه روح أجنبية من أصل نشأتها "[3]، وهذا يعني أن الناقد يخضع لمجموعة من العوامل كي يصبح ناقدًا في أدب ما، والتي من بينها : اللغة، الثقافة، الانتماء القومي، والطبع النفسي وغيرها من العوامل.

والمستشرق كما هو معروف، رجل أعجميّ له لغته وثقافته وجنسه الخاص به، وهو مغروس في ثقافة، إمّا وثنية يونانية أو نصرانية غربية، ثم يأتي على حين غفلة من أهل الأدب العربي ويبدأ في إبداء رأيه، وهو فاقد لكل الشروط المذكورة أعلاه.

ولعل ما يمكن استخلاصه من قضية الأدب العربي في ملف الاستشراق، هو أن هذا الأخير ركز عليه باعتباره مفتاح لفهم الشخصية العربية وطريقة تفكيرها، بالإضافة إلى صلته بالقرآن ولغته، وعليه راح المستشرقون يدسون الدسائس، وذلك من خلال زرع بعض الشبهات، كقصور

[1] _ صالح الدين ملفوف، من قضايا الأدب العربي الحديث في الاستشراق المعاصر، مرجع سابق، ص37.

[2] _ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص245.

[3] _ المرجع نفسه، ص245، 246.

العقلية العربية واللغة الفصحى في ميدان الأدب العربي، وهو الأمر الذي نجم عنه نشر مختلف المذاهب الأدبية الغربية، بالإضافة إلى تركيزه على نسبة تراث الأدب العربي ومصادره، إلى مصادر غير عربية، مثل التركيز على أدباء الشعوبية، وجُلهم من بلاد فارس، وكذا بعض المصادر ككليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، وحتى النهضة الأدبية الحديثة راح يعزوها لغير أهلها، من خلال نسبتها إلى أدباء ومفكرين لهم ولاء للاستشراق، وهذا على حساب أصحابها الأصليين، الذين لم يجرفهم هذا التيار المسموم.

ملخص الفصل الثاني :

لقد تناولنا في الفصل الثاني مجموعة من المحاور، التي تناولها الاستشراق في علاقته بالأدب العربي الحديث، فمن بين هذه المحاور، اللغة الفصحى والتي أجمع جل الباحثون في تعريفهم لها أنها لغة الأدب العربي القديم شعره ونثره، والتي شرفها الله بالقرآن الذي نزل بها، ومن ثَم كان كل شيء يُكتب بها في الميدان الأدبي إلا أضفت عليه جمالية خاصة، وفي مقابل الفصحى تناولنا العامية، والتي هي لغة عامة الشعب، التي لا تخضع لقواعد خاصة، ولذلك وصفت بالمرونة والسهولة ولها عدة تسميات، كما كان محور تاريخ الدعوة إلى العامية حاضرًا في هذا الفصل، والذي بدأه المستشرق الألماني " ولهلم سبيتا " في سنة 1880م، من خلال كتابه " قواعد العربية العامية في مصر "، ثمّ تَبع دعوته الباطلة هذه مجموعة كبيرة من المستشرقين مثل : كارل فولرس، وويلككس، وولمور وغيرهم كثير، والذين سعوا جميعهم إلى محاربة الفصحى.

أمّا أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث، والذي كان من محاور هذا الفصل، فقد رأينا أن نهضته _ الأدب العربي الحديث _ كانت من خلال الحركات الإصلاحية أولاً، ثم الاستشراق ثانيًا، فالحركات الإصلاحية كان دورها من خلال دعوتها الناس إلى الرجوع إلى العقيدة الصافية، والمحافظة على تراث الأمة، ومن ثَم إحياء اللغة الفصحى، ولاسيما في ميدان الأدب، كما كان للاستشراق دور في هذه النهضة، وذلك من خلال ما قام به من طباعة وتحقيق المخطوطات ومساهمة في ظهور الصحافة.

بينما اللغة العربية الفصحى التي تناولها الاستشراق من الناحية الأدبية في ملفاته، وهذا باعتبارها لغة الأدب العربي الأصيل من جهة، ومن جهة ثانية حقدًا عليها باعتبارها اللغة الوحيدة التي عمرت ولا تزال كذلك، فحاكوا ما حاكوا حولها من الشبهات، كمحاربتها باللهجات العامية، باعتبارها حسبهم لا تواكب المصطلحات الحديثة، وهذا بغية تغريب الأدب العربي الحديث.

الفصل الثالث

الموقف العربي من الحركة الاستشراقية

1 _ الموقف العربي المؤيد للحركة الاستشراقية

2 _ الموقف العربي المعارض للحركة الاستشراقية

3 _ الموقف العربي المنصف للحركة الاستشراقية

توطئة :

لقد كانت الرؤية العربية للاستشراق مختلفة باختلاف فهم وتأثر كل باحث، وهذا باعتبار أن الاستشراق كما أسلفنا الذكر، قد عاش في البلاد العربية الإسلامية قرون عديدة، ومازال إلى يوم الناس هذا، وهو الأمر الذي جعله محل اهتمام كبير من طرف الباحثين العرب بغية اتخاذ موقفًا منه، والموقف من شيء ما في هذا المقام لا يخلو من إحدى ثلاث، إما القبول المطلق، أو الرفض المطلق، أو بين بين، لا رفض مطلق ولا قبول مطلق، وهو الموقف المنصف الذي يقبل ما هو إيجابي ويرفض ما هو سيء.

ومهما قيل أو قد يقال حول المستشرقين، فإنهم قد استطاعوا أن يجدوا لأنفسهم ربحا، وهو ذلك الربح الذي استطاعوا بفضله: " تمزيق المفكرين الإسلاميين حولهم، وتحويل الصراع ضد الغزو الفكري الأجنبي إلى صراع بين المسلمين حول المستشرقين : أحسنوا أم أساءوا "[1]، فالمعارك ولاسيما الأدبية منها، والتي دارت بين المثقفين العرب، قد أشعل فتيلها هؤلاء المستشرقين بغية جعل المثقفين العرب يشتغلون في الرد على بعضهم البعض حول الظاهرة الاستشراقية، وهو ما تمخض عنه بروز آراء مختلفة، فكان منها المؤيد والمعرض والمنصف.

ولعل ما يمكن قوله في هذا المقام، أن علماء الأدب المحدثين، قد ذهبوا مذاهب شتى من الحركة الاستشراقية، حيث نجد أن بعضهم جرى وراء ما تعلم في جامعات السربون، وكمبردج، وأكسفورد وغيرها، بينما تأثر فريق منهم بما كتب مارجليوث، وماسينيون، وجولد زيهر وغيرهم، كما كان لفريق آخر ولع بدروس نالينو، وجويدي، وبرجستراسر، من خلال محاضراتهم التي ألقوها في جامعة القاهرة والجامعات العربية الأخرى، كما نجد ثلة من علماء الأدب العربي الحديث قد تأثروا بما أثير من نقاش في مؤتمرات الاستشراق وندوات علمائه، وكل هذا قد ظهر جلياً في مؤلفات هؤلاء، أي أدباء العرب المحدثين، ولكن في مقابل هذا يمكن القول أن هناك عددا من

[1]_ عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، ط01، القاهرة، 1416ه، 1995م، ص215.

علمائنا المحدثين كان لهم موقف ثابت، حيث تجلى هذا الموقف من خلال ولائهم لتراثهم، والمحافظة عليه، والنهل منه، والدفاع عليه[1].

تباين المواقف العربية :

هذه المواقف الثلاثة السالفة الذكر، كان بينها تباين وتمايز من حيث المنهج والأسلوب في كيفية التعامل مع الظاهرة الاستشراقية، فالنخبة العربية المثقفة التي عارضت الاستشراق، كان منطلقها التشكيك في أعمال هؤلاء المستشرقين، وأنها أعمال غير بريئة، بل إنها أعمال مدفوعة بعوامل وأهداف خفية، أو بتعبير آخر كان عملهم خدمة لدولهم الغربية في المقام الأول، وهو الأمر الذي جعلهم يتحاملون على العرب والإسلام ولغتهم وأدبهم وتراثهم وكل ما يمت إليهم بصلة، فكان هذا الموقف العربي الدفاعي كما يقول النقاد، قد تشكل من الأغلبية الكبيرة من مثقفي العرب من أمثال: " شكيب أرسلان وأحمد فارس الشدياق وأنور الجندي وعمر فروخ ومالك بن نبي وحسين الهراوي ومحمد عزت إسماعيل الطهطاوي "[2]، وغيرهم كثير من أصحاب الكلمة العربية الرصينة، الذين جعلوا كلمتهم في سبيل التصدي للاستشراق، وكشف مغالطاته، وزيف أصحابه.

بينما وصف الموقف الثاني من قبل النقاد، وهو الموقف المنصف، على أنه موقف الوسطية والاعتدال، باعتباره موقفا قد التزم أصحابه فيه بالبحث العلمي والأعراف الأكاديمية في التعامل مع الظاهرة الاستشراقية، وهو الأمر الذي جعل هذه الفئة من مثقفي العرب، تعبر عن موقفها من حركة الاستشراق بطريقة موضوعية رصينة، لأنها كما يقول أصحابها رأت في: " أعمال المستشرقين جهدًا، لا يمكن تجاهله ونكرانه، خاصةً وأنَّه أدّى خدماتٍ جلى للأمة العربيّة والإسلامية، على مختلف الصعد، وأن التقصير الذي انتابه، هو كما يقول شاعرنا أبو الطيب المتنبيِّ كتقصير القادرين على التمام، وناتج عن عدم الإلمام الكامل باللغة العربية، والإحاطة الشاملة بإفرازاتها الصرفيّة، وتنوعاتها الاستشراقية، أو الإدراك الصحيح والفهم الدقيق للدين الإسلامي

[1]_ ينظر: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص246.

[2]_ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص63، 64.

وحضارته الإنسانية. ويلاحظ أن هذه الفئة قد أبعدتْ عن صفوفها المستشرقين ممّن كانت لهم مآرب سياسية وارتباطاتٌ استعماريّة، ونجحتْ في جذب تيار عربي كبير، من أصحاب الأقلام الحرّة والمواقف الرصينة "[1].

فكان هذا موقفا منصفا، باعتبار أنه لم يبخس جهود بعض المستشرقين، من خلال بعض أعمالهم التي امتازت بالجدية والموضوعية، مثل بعض الأعمال التي ذكرناها في الفصل السابق، كتحقيق ونشر المخطوطات الهامة وفهرستها، ووضع المعاجم، وتأليف العديد من المؤلفات التي كانت مواضيعها تتعلق بالحياة العربية الإسلامية.

أما الموقف الثالث فهو موقف القبول المطلق، الذي قبل أعمال المستشرقين كما هي، بل راح يمدحها ويثني عليها ويرغب فيها، حيث كان تأثر هؤلاء الثلة من مثقفي العرب بكل ما صدر عن هؤلاء المستشرقين، وكان لهم ولع كبير بهم، حتى أنهم ساروا على نهجهم في كثير من الدراسات التي قدموها، سواء تعلق ما تعلق بالأدب العربي القديم أو الحديث، فما كان من هذه الفئة إلا أنها: " أيّدت وجهات نظر المستشرقين، وسلّمتْ بنظرياتهم، فقد أغدقتْ على كتاباتهم كيْلاً من المديح والتقريظ، ولم تر في أعمالهم أي نقص أو تثليم، أمثال محمد كرد علي، وصلاح الدين المنجد وعبد الرحمن البدوي وفليب حتي، وأمثالهم من كتّاب نهضتنا الحديثة "[2].

فهذا عرض موجز لهذه المواقف الثلاثة، وسنتطرق إلى كل موقف على حدا، من خلال ما ذكره العلماء المتخصصين في هذا المجال، حول كل فئة من الفئات الثلاثة.

[1] ـ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المرجع السابق، ص64.

[2] ـ المرجع نفسه، ص65.

1 : الموقف العربي المؤيد للحركة الاستشراقية :

لقد كان وراء هذا الموقف ثلة من كتّاب العربية المحدثين، الذين راحوا يمدحون الاستشراق ويظهرونه على أنه إيجابي، وهو الأمر الذي جعلهم يأخذون على عاتقهم: " الدفاع عن أعراض المستشرقين، وتبيان فضلهم في حركة النهضة العربية الحديثة، وإحياء تراثها الحضاري "[1].

وهذا ما جعلهم ينظرون إلى الاستشراق نظرة المنبهر، وكانت: " وجهة نظر هؤلاء المنبهرين الذين قبلوا إسهامات المستشرقين قبولاً غير مشروط أنه في الوقت الذي نتقبل فيه التقنية الغربية في مجال الاتصال والمواصلات وغيرهما ينبغي أن نتقبل أيضًا ما يقوله الغرب عنا وعن ما يريده لنا "[2]، بل ذهبوا إلى أكبر من ذلك، كما يقول النقاد، حين راحوا يؤكدون على أن الغرب: " أكثر معرفة منا بأنفسنا، إنه يملك التسهيلات والمنهج فلماذا لا يملك حصيلتهما، أو قل إنه يملك القوة والسلطة التي يمارسها بشكل أو بآخر في هذا الوجه أو ذاك من الحياة العربية المعاصرة فلماذا لا يملك المعرفة؟ وهو يملكها حقاً "[3]، فهذه بعض حجج القبول المطلق.

ومن الرواد في هذا المجال، أي أصحاب القبول المطلق للحركة الاستشراقية، نجد الكاتب والمؤلف " محمد كرد علي "، الذي يعتبر من أبرز مؤيدي الفكر الاستشراقي، والذي: " سمح لنفسه الرد على شبهات الاستشراق، وإظهار مكانتهم العلميّة والتاريخية، في كشف المدنيّة العربيّة من رقدتها الطويلة، انتفعت البشريةُ قاطبةً بإنجازها الضخم، وبما حوته ذخائرها العلميّة والأدبيّة من معارف "[4].

ويؤكد " أنور الجندي " أن " محمد كرد علي " رئيس المجمع العلمي بدمشق، قد حمل على عاتقه لواء الدفاع عن المستشرقين، حيث راح يشيد بفضلهم وكل ما قدموه للأمة العربية، لاسيما

---

[1]_ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المرجع السابق، ص90.

[2]_ علي بن إبراهيم الحمد النملة، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مكتبة التوبة، ط01، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418ه، 1998م، ص207.

[3]_ المرجع نفسه، ص207، 208.

[4]_ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص90.

فيما تعلق بعلاقتهم باللغة العربية، حيث رأى أنهم: " خدموا اللغة العربية بإخراج ذخائرها وتعريف المعاصرين من أهلها بمجد أسلافهم وذكر عشرات من مستشرقي كل مملكة وأسماء أمهات الكتب التي كان لها الفضل في طبعها.. وقال أن الاستعمار كان سببًا من أسباب عناية الأوربيين بدراسة اللغات الأجنبية عامة والشرقية وفي مقدمتها العربية خاصة "[1].

ولكن هذا الموقف من " محمد كرد علي " جعله عرضة لعدة انتقادات وردود من قِبل ثلة من النقاد أمثال « عبد العزيز شاويش، علي العناني، وروحي فيصل»، وهو الأمر الذي جعل " محمد كرد علي " يتراجع بعض الشيء، ويعترف بخطر أعمال المستشرقين حينما قال: " أني موافق على ما قاله « روحي فيصل » في تزييف بعض من تعلموا لغات الشرق إلا أنني لا أغمط حق العاملين منهم، أعلم أن كثير منهم يعملون لسياسة بلادهم وأن منهم دعاة دين متعصبين يتخذون الاستشراق سلاحاً لخدمة دينهم على نحو ما فعل أسلافهم في القرون الوسطى "[2].

وعموما هناك عدد من كتّاب العربية الذين سلكوا مسلك " محمد كرد علي "، في مدح المستشرقين والدفاع عنهم، إلا أننا في هذا المقام سنكتفي بذكر بعض المتأثرين بالفكر الاستشراقي، والذين رددوا أفكار المستشرقين ومناهجهم كما هي، مثل : انتقاد العقلية العربية، ومنهج الشك والرفض، وغيرها من الأفكار التي راقت لهم ودافعوا عنها.

1 _ 1 : التشكيك في العقلية العربية :

لقد هاجم الكثير من المستشرقين العقلية العربية، واصفين إيّاها بالجمود والتخلف وعدم القدرة على ملائمة الذوق الفني في عديد المجالات، ومن هؤلاء على سبيل الذكر " جوتييه gauthier "، الذي يرى أن أسلوب العرب الفني هو الأسلوب اللانهائي، أي غير محدود المعالم، وقد استعار هذا الوصف كما يقول " أحمد سمايلوفتش "، من أستاذه " أرنيست رينان ernest renan "، ومتفقًا في هذا مع " لابي " الذي يرى أن الذوق الفني للعرب يدل على عدم مقدرتهم

[1] _ أنور الجندي، تاريخ الغزو الفكري والتغريب (خلال مرحلة مابين الحربين العالميتين 1920 _ 1940)، دار العلوم للطباعة، دط، القاهرة، 1988م، 156.

[2] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على التبصر، وكثيرًا ما يهتمون بالماضي على حساب المستقبل، أي أنهم لا يعطون أي اهتمام للمستقبل حسب رأيه، كما أن الأسلوب الفني العربي حسبه كثيرًا ما تشوبه الخلافات وعدم وجود خطة مرسومة، وهذا ما يراه " جوتييه، ولابي " وغيرهم عن العقلية العربية، فيما تعلق بحياتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم.

ومن خلال دراسة " جوتييه " للعقلية العربية حسب زعمه، يخرج ببعض الاستنتاجات، والتي من بينها التجربة الشعرية عند العرب، حيث رأى أن الشعر العربي يقوم على الطباق والمبالغة فقط، وبهذا حصر الشعر العربي في الطباق والمبالغة فقط، خالي من جميع الصور الجمالية الأخرى، وهذا تعصب ما دونه تعصب كما يقول أحمد سمايلوفتش[1].

ويذهب " جوتييه " إلى أبعد من هذا، حينما يقول أن: " القصيدة العربية التي تعد نموذج الشعر العربي القديم، خالية تمامًا من الوحدة، وتسير في غير نظام، لأنها تتكون من الإطارات أو التوسعات المقرون بعضها ببعض في غير رابطة منطقية "[2].

فهذه بعض من النتائج التي انتهى إليها: " جوتيه متمشيا مع رينان ومتفقا مع لابي في محاولة يائسة لإنكار قيمة العقلية العربية، وإذا كانوا جميعاً قد اختاروا الفن والفلسفة والأدب للاستدلال على ما كانوا يبتغون الوصول إليه، فإنهم فيما يبدو لنا لم يفهموا هذا الفن بقدر كبير، إذ أنه أقرب الفنون إلى الحياة مطلقاً، وهو آخر الفنون الكبيرة التي لم تفصل بين الفن والحياة والوجود وهو الفن الوحيد الذي احتفل بكل أنواع الحياة وأشكال التعبير "[3].

ويضيف " أحمد سمايلوفتش " في نفس السياق، أي حول هذه الاستنتاجات التي تهجم بها " جوتييه " على العقلية العربية، قائلا عنه وعن الذين وافقوه الرأي: " ومن الجلي أنهم درسوا هذا الفن منفصلا عن فكرته مما يدل على قصر نظرهم، وإلا لما فهموه على هذا النحو أبداً، إذ لو فهموا لعلموا أن الإسلام قد أحدث تغييراً جذرياً في الأفكار والنفوس والأخلاق لأنه جاء لتحقيق

[1] _ ينظر: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص642، 643.

[2] _ المرجع نفسه، ص643.

[3] _ المرجع نفسه، ص644.

الإيمان بالله الواحد الحق والابتعاد عن الإيمان بالآلهة الباطلة المزيفة، حتى أصبح جليًّا لكل ذي عقل ليس حينذاك فحسب وإنما للآن أيضًا، لأنه يستحيل أن تستقيم حياة الإنسان بغير الإسلام، وكلما أصبح الإنسان أكثر وعيا، فإنه يقترب من تحقيق الإسلام من تلقاء نفسه "[1].

وربما ما خفي على هؤلاء أن العرب هم أرباب الفصاحة والبيان وصناع الكلام، فكيف يتهم من كانت هذه عقليته، بل ذهبوا _ المستشرقون _ إلى أبعد من هذا حين راحوا يؤكدون على أن أصحاب البيان العربي، قد تأثروا " بالمنطق اليوناني في جميع المجالات بما فيها مجالات الأبحاث البيانية. هذا في حين أن الواقع التاريخي يؤكد أن المنطق اليوناني لم يبدأ توظيفه في الدائرة البيانية من أجل « تأسيس » قضاياها وأطروحاتها إلا مع الغزالي وبعده، أي ابتداء من العقد الأخير من القرن الخامس الهجري "[2].

وهذه الأحكام التي أطلقها هؤلاء المستشرقين من أمثال " رينان، ولابي، وجوتييه "، ما هي في الواقع إلا: " دعاوى ظاهرها وباطنها التعصب، سواء كان تعصبًا جنسيا أو تعصبًا دينيًا، نعم إنه تعصب جنسي، لأن فيها تقليلاً من شأن عقلية العرب، برغم أن المنصف لو اطلع على كتب فلاسفة الإسلام وعلماء العرب الذين بحثوا في الرياضيات والطبيعيات وغيرهما من علوم وآداب وفنون العلم مبلغ الدقة التي توصل مفكرو الإسلام إليها "[3].

وإذا كان الكثير من هؤلاء المستشرقين، قد هاجموا العقلية العربية ووصفوها بما وصفوها، فقد سار على نهجهم عدد من أبناء العربية، الذين رددوا ما قاله هؤلاء المستشرقين، مباركين في هذا أقوالهم، ومادحين لأفعالهم، ومقلدين لمناهجهم، إذ: " حرص كثير من دعاة التغريب على اتهام العقلية العربية جريًا وراء رينان وغيره وفي مقدمته توفيق الحكيم وحسين فوزي سلامة موسى وحسين مؤنس وإسماعيل مظهر، حتى وصفت الأمة العربية بأنها أمة لا يعرف لها تاريخ وأدبها أدب صحراوي جاف مليء بالمبالغات وهو أدب التكلف والزخرف، كما وصفت العقلية العربية بأنها

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص644.

[2] _ محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط09، بيروت _ لبنان، 2009، ص81.

[3] _ أحمد سمايلوفش، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

عقلية سامية قاصرة عن الخلق عاجزة عن استنتاج المعاني المجردة وأن العرب استمعوا علومهم وفلسفتهم من فلسفة اليونان ولا فضل لهم فيها وكل شيء عندهم زخرف "[1]، ومن هؤلاء العرب الذين ساروا على خطى المستشرقين في مهاجمة العقلية العربية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر " أبو القاسم الشابي "، حيث: " سيظهر لنا تأثره برينان ولابي وجوتييه وغيرهم "[2].

والشابي قد افتتح موضوعه هذا، والمتمثل في البحث عن الخيال الشعري عند العرب بقوله: " أريد أن أبحث في الخيال عند العرب من ذلك الجانب الذي تتدفَّقُ فيه أمواج الزمن بعزم وشدة، وتنهزم فيه رياح الوجود المتناوحة مجلجلة داوية جامحة، وتتعاقب عليه ظلمات الكون وأضواؤه وأصباح الحياة وأمساؤها؛ ذلك الجانب الذي يستلهم ويستوحي، ويحيا ويشعر، ويتدبر ويفكر، أو بكلمة مختصرة إنني أريد أن أبحث عند العرب ما سميته خيالاً شعريًّا أو خيالاً فنيًّا "[3].

ولكن الغريب في الأمر كما يقول النقاد، أن " الشابي " بدأ بحثه هذا بنظرة تشاؤمية عن الخيال الشعري عند العرب، حيث إنه شكك في النتيجة قبل أوانها، كيف لا وهو القائل: " لا أدري هل إننا سنسمع غماغم الخيال الشعري في صحراء العرب وسنلمح طيفه الجميل هازجاً في تلك الجزيرة النائية؟ أم أننا لا نبصر غبر ظِلِّهِ تائهاً تحت أشعة الشمس المحرقة ولا نتبيَّن إلا آثار قدميه فوق الرمال؟ ومن يدري...؟ "[4].

وبعد أن تناول " الشابي " الأساطير العربية، وهو الذي قسمها إلى أساطير دينية وأخرى تاريخية، حيث بحث فقط في الخيال الشعري في الأساطير الدينية وضرب لها بعض الأمثلة، هاهو يقارن بين الخيال الشعري في الأساطير العربية، والخيال الشعري في الأساطير عند اليونان، حيث يقول: " فهل رأيتم فيما تلوته عليكم من أساطير العرب واحدة تشرق بالفن والحياة كما يشرق

---

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص647. نقلا عن: أنور الجندي، يقظة الفكر العربي مرحلة ما بين الحربين، مطبعة زهران، القاهرة، 1982م، ص176.

[2] المرجع نفسه، ص647.

[3] _ أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، القاهرة _ مصر، 2012م، ص17.

[4] _ المرجع نفسه، ص17، 18.

الكوكب بالنور الجميل والوردة بالعطر الأريج؟ وهل وجدتم فيها جمالاً أكثر من هذا الحديث الخيالي الوضيء الذي يروونه عن سهيل وأختيه؟ وكذلك كانت أساطير العرب، وثنية جامدة جافية لم تفقه الحق ولا تذوقت لذة الخبال، وأوهام معربدة شاردة لا تعرف الفكر ولا اشتملت على شيء من فلسفة الحياة... أما أساطير الأمم الأخرى فقد كانت مشبعة بالروح الشعرية الجميلة زاخرة بفلسفة الحياة الفنية الراقصة في ظل الخيال "[1].

ويواصل " الشابي " مدحه للخيال الشعري عند اليونان، على حساب الخيال الشعري عند العرب الذي انتقص من شأنه في قوله: " وهكذا كانت آلهة اليونان وأساطيرهم عنها : آراء شعرية يتعانق فيها الفكر والخيال، فكل آلهة رمز لفكرة أو عاطفة أو قوة من قوات الوجود، وكل أسطورة صورة شيقة من صور الشعر يقرؤها الباحثون فيحسون أنها صادرة عن مخياة قوية وإحساس فياض يشمل العالم ويحس بأدق أنباض الحياة "[2]، فأي فرق بين قول " الشابي " وأقوال هؤلاء المستشرقين أمثال " رينان ، ولابي ، وجوتييه "، الذين أعلوا من شأن الجنس الآري على حساب الجنس السامي، وهاهو " الشابي " كذلك يفعل بمدحه لليونان وخيالهم الشعري على حساب العرب.

ثم راح الشابي يتحدث عن الأمة العربية وحظها من الوسط الطبيعي، بعد أن قسم أدبها العربي إلى أربعة أدوار وهم : الدور الجاهلي، والدور الأموي، والدور العباسي، والدور الأندلسي، حيث حكم على الأول والثاني وهما الجاهلي والأموي، أنهما: " كانا خاليين أو كالخاليين من هذا الشعر الذي يتغنى بمحاسن الكون ومفاتن الوجود ويثبِّت بجمال الطبيعة وسحر الربيع، أقول أو كالخالي لأننا نجد في شعر هذين العصرين شيئا من ذلك ولكنه نادر كل الندور، ثم إنه على قلته وندوره لم يكن من هذا النوع الذي يشتعل خيالاً وحسًّا ويتألق جمالاً وفنًّا، والذي تحس النفس من ورائه بنشوة الشعر وتلهُّب العاطفة؛ لأن الشاعر لم يكن يذكره في القصيدة لأنه استغوى نفسه

[1] _ أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، المرجع السابق، ص23.

[2] _ المرجع نفسه، ص24.

واستهوى شعوره، بل لأنه قد أتى به جميل السيل وفيض الكلام "[1]، وقد ذكر في هذا بعض الأمثلة لكل من الأعشى، وكثير عزة، وعنترة، وابن أبي ربيعة، وامرؤ القيس، وأوس بن حجر وملحة الجرمي.

وبعد أن عرض " الشابي " بعض النماذج لهؤلاء الشعراء العرب، يطلق حكمه الأخير على حد قوله كان: " الأدب العربي في هذين العصرين خاليًا من الشعور بجمال الطبيعة والحديث عنه إلا أصواتًا ضئيلة خافتة تنطلق من حين لآخر كغمغمة الحالم الذي لا يفْقَهُ ما يقول. وكان العرب واقفين أمام مشاهدة الكون، لا وقفة المتهيب الخاشع؛ لأن مثل هاتِهِ الوقفة مما كان الباعث عليه نشوة الحس وسكرة الخيال لابد أن ينفجر يومًا عن خير ما تتفق عليه القرائح والعقول، بل إنها وقفة الأخرس الذي لا ينطق، والأعمى الذي لا يبصر أضواء النهار "[2].

ولكن هذا الحكم الصادر من " الشابي "، جعل العديد من النقاد يتساءلون ويقارنون بينه وبين أقوال المستشرقين: " إذن هل هناك فرق بينه وبين جوتييه؟ ربما ذهب أبعد منه؟ ولكن ماذا حدث في نظر الشابي مع الأدب العربي وخيال أصحابه عندما أظل العصر العباسي حياة العرب وازدهر العصر الأندلسي، وعندما امتزج دمهم بدم اليونان والفرس والرومان وغيرهم، وعندما أتقنت العناصر غير العربية لغة القرآن الخالدة، وعندما تغير نوعًا ما الوسط العربي، ماذا حدث في هذا العصر الخلاق؟ "[3].

هذه التساؤلات يجيب عليها " الشابي "، حينما يتحدث عن الدورين العباسي والأندلسي، والوسط الطبيعي فيهما، حيث قال عن هذا الأخير، لقد: " شبَّ ذلك الفن الطبيعي الوليد، الذي يَتَغَنَّى بسحر الطبيعة في مختلف المظاهر وشَتَّى الألوان، فأصبحنا نسمع من الأدب أصواتاً لم تألفها

[1] _ أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، المرجع السابق، ص29.

[2] _ المرجع نفسه، ص32.

[3] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص649.

أسماعنا من قبل فيها رقة وعذوبة، وفيها طلاوة وحلاوة "[1]، حيث ضرب بعض الأمثلة لعدد من شعراء العصر العباسي، ولشعراء من العصر الأندلسي.

كقول أبي تمام: { دُنْيَا مَعَاشٍ لِلْوَرَى حَتَّ إِذَا *** جَاءَ الرَّبِيعُ فَإِنَمَا هِيَ « مَنْظرُ »}.

وكقول البحتري: { أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلقُ يَخْتَالُ ضَاحِكاً*** مِنَ الحُسْنِ حَتَّ «كَادَ أَن يَتَكَلَّمَا» !}.

وكقول ابن الرومي:{إِذَا مَا أَعَارَتْهَا الصَّبَا حَرَكَاتُهَا *** أَفَادَتْ بِهَا «أُنْسَ الحَيَاةِ» فَتَأْنَسُ }.

ومن الأمثلة التي ضربها من شعر الأندلس :

كقول ابن خفاجة: { لِلَّهِ نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَاءِ !*** أَشْهَى وُرُوداً مِن لَمَى الحَسْنَاءِ }.

وكقول ابن زيدون: { كَانَ عَشِيَّ القطْرِ فِي شَاطِئِ النَّهْرِ ***وَقَدْ زَهَرَتْ فِيهِ الأَزْهَارُ كَالزَّهْرِ }.

{ تَرُشُّ بِمَاءِ الوَرْدِ رَشًّا، وَتَنْثَنِي *** لِتَعْلِيفِ أَفْوَاهٍ بِطِيبَةِ الخَمْرِ }.

وبعد أن بحث " الشابي " عن الخيال الشعري في عصوره الأربعة السالفة الذكر، وازن بين الدورين الأول والثاني، في مقابل الدورين الأخيرين، حيث رأى أن الخيال الشعري أقوى في الدورين الأخيرين منه في الدورين الأول والثاني، كنمط اللفظ وصياغة الكلام[2].

و" الشابي " كما يقول النقاد، هو من في الحقيقة يمثل حركة الانبعاث الفكري، بل قد اعتبره البعض: " كأسمى ما وصلت إليه حركة الانبعاث الفكري، والتجديد الأدبي في تونس "[3]، والانبعاث كما يقول العلماء لطالما قام على مهاجمة كل ما هو قديم، أو بتعبير آخر كان يثور على التراث وينتقص من شأنه.

وبعد هذه الدراسة للخيال الشعري عند العرب، قام " الشابي " بعقد مقارنة بين ما وجده من خيال عند العرب، ونظيره عند الغرب، حيث استدل بمثالين لكل من " لامرتين

[1] _ أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، مرجع سابق، ص32.

[2] _ ينظر: المرجع نفسه، ص35 وما بعدها.

[3] _ محمد كرّو أبو القاسم، الشابي حياته _ شعره، منشورات المكتبة العلميّة ومطبعتِها، ط02، بيروت، 1954، ص43.

lamartine، وجيت jet "، فقال مستدلا يقول لامرتين: " إن الطبيعة أكبر قساوسة الله وأمهر مصوريه وأقدر شعرائه وأبرع مغنيه، وإنك لتجد في عش العصفور تتناغى فيه أفراخه تحت رفرف الهيكل الدارس، وفي أنفاس الريح تهب من البحر حاملة إلى أديرة الجبل المقفرة خفوق الشرع وأنين الأمواج وغناء الصيادين، وفي الزهور ينتشر أرجها في الفضاء وينتشر ورقها على القبور، وفي صدى أقدام الزائرين تقع على مضاجع الموتى من هذا الدير، تجد في كل هذا من التقى والروعة والتأثير ما كان في هذا الدير منه وهو في إبان عهده وعنفوان مجده!"[1].

كانت هذه كلمت لـــ" لامرتين " في وصف الطبيعة استدل بها " الشابي "، وأضاف يقول في استدلاله الثاني، ويقول جيت: " أرى كل شيء حولي ينبت ويزهر، وحينما كنت أبصر هذه الجبال المغطاة بأشجار الدوم من أسفلها إلى أعاليها، وتلك الأودية المظللة مجانيها بالغابات الأنيقة وذلك النهر ينسابُ هادئًا بين نغمات القصب المهتزة، وتتراءى في جوانبه تلك السحب الجميلة المزجاة في جو السماء بنسيم المساء، وأسمع الأطيار تحيي بأغاريدها موات الغابة جمعاء، وخشارمة الذباب ترقص طربة مرحة على أشعة الشمس الأرجوانية الغاربة، وأرمق الأرض ببصري فأرى الأشنان يمتص غذاءه من الصفاة الصلدة، والرتم ينبت فوق سفح الأكمة القاحل المرمل فيكشفان لي عن ذلك النبع المقدس وتلك الحياة القوية في باطن الطبيعة، أقول حينما كنت أرى وأسمع هذه الأشياء أشعر كأن قلبي يحيط بها ويعيها بما شئت من حرارة وقوة "[2].

فهذان المثالان جاء بهما " الشابي " لأجل إظهار عظمة الخيال الشعري عند الغرب وقوته، فيما تعلق بوصف الطبيعة، وفي المقابل قد رأى أن الخيال الشعري عند العرب بسيط وضعيف، بل ساذجًا، حيث يقول بعد سرده لهذين المثالين: " تلك كلمة لامرتين وجيتي، ولست بمستحلفكم مرة أخرى أي النظرتين إلى الطبيعة أعمق؟ وهل عندنا في العربية مثل هاته الروح القوية الشاعرة؟ ولكني أقول كلمتي، وهي أن النظرة العربية إلى الطبيعة بسيطة إزاء هذه مهما بلغت من العمق

[1]_ أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، مرجع سابق، ص39.

[2]_ المرجع نفسه، ص39، 40.

والشعور، وأن تلك الكلمات الأخيرة التي قالها جيت هي الأغنية الخالدة التي ترددها النفوس في أعماقها كلما شاهدة بهجة الكون "[1].

نعم هذه نظرة " الشابي " للخيال الشعري عند العرب، الذي هو بسيط مهما بلغ من العمق والشعور، في مقابل سموه عند هؤلاء الغربيين، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حين رأى أن شعراء العربية، لم يعبروا عن مثل هكذا احساسات شعرية، لماذا؟: " لأنهم لم ينظروا إلى الطبيعة نظرة الحي الخاشع إلى الحي الجليل وإنما كانوا ينظرون إليها نظرهم إلى رداء منمق وطراز جميل لا تزيد عن الإعجاب البسيط، ومثل هاته النظرة الفارغة لا ينتظر منها أن تشرق بالخيال الشعري الجميل لأن الخيال الشعري منشؤه الإحساس المتلهب والشعور العميق، وشعراء العربية لم يشعروا بتيار الحياة المتدفِّق في قلب الطبيعة إلا إحساسًا بسيطًا ساذجًا خاليًا من يقظة الحس ونشوة الخيال، هو ذلك الإحساس الذي تشاهدون أثره في شعر البحتري وابن الرومي وأبي تمام وبعض شعراء آخرين"[2].

وقد عرج " الشابي " كذلك عن الخيال الشعري عند العرب فيما تعلق بالمرأة والقصة، حيث رأى أن المرأة في الأدب العربي، وفي تلك العصور، لم تظفر بنصيب من الخيال الشعري، لأن النظرة التي نظر بها الشعراء إلى المرأة حسبه كانت نظرة مادية لا عمق فيها ولا ضياء، وهذا مع وجوده بالطبع في الضفة الأخرى، أي عند الغربيين، أمثال " لامرتين "، كما كان للقصص حظه في بحث " الشابي "، حيث رأى كذلك أن القصص العربي كان خالياً من الخيال الشعري، لأنه حسب رأيه قد اتبع تلك الطريق المتبسطة الواضحة التي لا تؤدي إلى اللجة ولا الهاوية[3].

وقد انتهى به هذا البحث، في الأدب العربي عبر عصوره المختلفة، أن حكم عليه بأنه: " أدب مادي لا سمو فيه ولا إلهام ملا تَشَوُّف على المستقبل ولا نظر إلى صميم الأشياء ولباب الحقائق، وأنه كلمة ساذجة لا تعبر عن معنى عميق بعيد القرار ولا تفصح عن فكر يتَّصِل بأقصى

[1]_ أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، المرجع السابق، ص40.

[2]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]_ ينظر: المرجع نفسه، ص58 وما بعدها.

ناحية من نواحي النفوس "[1]، وهذا الحكم الذي أصدره " الشابي "، كان جوابه حين تساءل أحدهم قائلا: " أوليست كلمات الشابي هذه هي تلك التي رددها من قبله بعض فلاسفة الاستشراق مت أمثال جوتييه ولابي ورينان؟ بل ، إنما هي "[2].

وبعد كل هذا الحكم الذي أطلقه " الشابي "، هاهو يعود ويقول غير الذي قال، وذلك عندما اعترف قائلا: " إنني إذا كنت أدعوا إلى التجديد الأدبي وأعمل له، فإن ذلك لا يدفعني إلى الهزء والسخرية بآداب الأجداد _ كما قد حسب _ بل إنني لأومن كل الإيمان بما فيها من جمال فني وسحر قوي، وأعتقد أنها قد آتت في عصورها الحية لأجدادنا كل ما طمحت إليه أشواقهم من غذاء معنوي دسم "[3]، فهو يعترف من جهة بفضل هذا الأدب، وينتقص من شأنه في الآن نفسه.

ولكن شاعرنا له ما يبرر به أرائه هذه حينما يقول: " فأنا إذن عندما أقول ذلك عن الأدب العربي لا أزعم أنه لا يلائم أذواق تلك العصور ولا أرواحها، ولكنني أقول إنه لم يعد ملائمًا لروحنا الحاضرة ولمزاجنا الحالي ولأميالنا ورغائبنا في هذه الحياة، فقد أصبحنا نرى رأيًا في الأدب لا يمثله ونفهم فهمًا في الحياة لا نجده عنده ونطمح بأبصارنا إلى آفاق أخرى لم تحدثه بها أحلامه ولا يقظاته "[4]، إذن الأدب العربي القديم حسب " الشابي " أصبح لا يلائم رغائبنا وروحنا المعاصرة، بينما الأدب الغربي، ولاسيما اليوناني الوثني منه، غدا يلائم رغائبنا وروحنا المعاصرة، نعم إنها دعوة صريحة كما يقول النقاد، إلى اتخاذ العامية في الأدب العربي على طريقة " الشابي " واستجابة لدعوة المستشرقين الذين سبقوه من قبل، وهذا كله على حساب أدب الفصحى، الذي وحد ولا يزال يوحد الأمة العربية الإسلامية.

وآخر ما توصل إليه " الشابي "، في بحثه الطويل هذا حول الخيال الشعري عند العرب، أنه حكم على العقلية العربية وما أنتجته عبر مختلف عصورها، بقوله: " أن كل ما أنتجه الذهن العربي في مختلف عصوره، قد كان على وتيرة واحدة، ليس له من الخيال الشعري حظٌّ ولا نصيب، وأن

[1] _ أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، المرجع السابق، ص67.

[2] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص653.

[3] _ محمد كرّو أبو القاسم، الشابي حياته _ شعره، مرجع سابق، ص57.

[4] _ أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، مرجع سابق، ص68.

الروح السائدة في ذلك هي النظرة القصيرة الساذجة التي لا تنفذ إلى جواهر الأشياء وصميم الحقائق، وإنما همها أن تنصرف إلى الشكل والوضع، واللون، والقالب، أو ما هو إلى ظواهر الأشياء أدنى من دخائلها، فهي لا تتحدث عن الطبيعة إلا بألوانها وأشكالها، ولا يهمها من المرأة إلا الجسد البادي، وهي في القصة لا تتعرف إلى طبائع الإنسان وآلام البشر، وفي الأساطير لا تعبر عن فكر سامٍ فياض، وإنما هي أوهام لا ئشة وأنصاب جامدة "[1].

ويذهب " الشابي " إلى أكثر من هذا، حينما يرى: " أن الروح العربية خطابية مشتعلة، لا تعرف الأناة في الفكر فضلاً عن الاستفراق فيه، ومادية محضة لا تستطيع الإلمام بغير الظواهر مما يدعو إلى الاسترسال مع الخيال إلى أبعد شوط وأقصى مدى ــ ومن هاتين النزعتين ــ الخطابية والمادية ــ اللتين ذهبا بها في الحياة مذهبًا خاصًّا، كان لها ذلك الطبع الشبيه بالنحلة المرحة التي لا تطمئن إلى زهرة حتى تغادر إلى أخرى من زهور الربيع؛ ولذلك فهي أبداً منتقله وهي أبدًا حائمة، تلك هي الروح العربية وذلك هو طبعها "[2]، نعم كان هذا حكم الشاعر العربي الحديث، على تلك العصور العربية وما أنتجته من خيال شعري، حيث لم يبقِ لها شيئًا يذكر، وذلك حينما راح يحكم عليها ــ العقلية العربية ــ أنها لم يكن لها حظ ولا نصيب من هذا الخيال، وفي المقابل عزا كل الخيال الشعري للغرب وكأن مصدره هناك، ونسي كما يقول النقاد أنه قد قيل أن الشعر ديوان العرب وليس العكس.

فهذا هو: " حكم شاعرنا العظيم على العقلية العربية الذي انتهى إليه بعد تأملاته في خيال العرب الشعري متأثرًا بتلك النظرية التي صاغها أمثال لابي ورينان وجوتييه، مما يتضح لكل دارس منصف وناقد حصيف "[3]، وهذا تأييد لهؤلاء المستشرقين، ما دونه تأييد كما يقول النقاد.

---

[1] ــ أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، المرجع السابق، ص77.

[2] ــ المرجع نفسه، ص77، 78.

[3] ــ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص653.

1 _ 2 : منهج الشك :

من كتّاب العربية الذين أيدوا الحركة الاستشراقية ومدحوها، بل قلدوها في كتاباتهم، نجد الأديب العربي الكبير " طه حسين "، الذي اتبع منهج الشك في كتاباته، وهذا المنهج حسب النقاد الباحثين، ظهر مع: " المستشرق الألماني تيودور نولدكه(1836 _ 1930)، الذي حاز لقبَ شيخ المستشرقين، ونال التقديرَ والاحترام لذكائه الثاقب ورؤيته الواضحة، وذاكرته النافذة، أحد الذين أساؤوا عفواً إلى العرب والإسلام، وأحد الذين أتوا بآراء عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، فيها افتراضاتٌ خاطئةٌ، ومنطلقاتٌ غير دقيقة في إطلاق الأحكام "[1].

وهذا المستشرق كان من الذين أبدوا رأيهم في القصيدة الجاهلية، حيث: " اعتبرها غير مفهومةِ المعالم، وغامضة الأصول، والتي اختلفتْ حسب رأيه، عن صورتها الأصليّة، بسبب تقادم الزمن"[2]، وهو ما جعل " نولدكه nwlidukuh " يعلن أن: " التزييف الفعلي انطلقَ من الشعراء المتأخرين، الذين وضعوا قصائدهم على لسان شعراء جاهليين، لينالوا الحظوة والقبولَ، والذين انتحلوا قصائدَ كاملةً، أو أبياتٍ محدّدةً "[3].

وأسلوب الشك هذا من الأساليب التي ظهرت في الأدب العربي الحديث، وتبناها عدد من الكتّاب، وعلى رأسهم " طه حسين "، وهذا الأسلوب: " ليس في الحقيقة من الأساليب العربية التي تؤمن أساسًا بالوضوح، والتي تشك حقًا، ولكنها تضع إلى جانب الشك : « اليقين » فلا تدع الشك عائمًا ولا تترك التساؤلات بدون إجابة مقنعة؛ فاليقين أصل أساسي وعميق في الأدب العربي "[4]، بينما أسلوب الشك هذا، كما يرى النقاد هو: " أسلوب ماكر من أساليب الغزو الثقافي أريد به إدارة الأبحاث الأدبية والعلمية والتاريخية كلها في دائرة اللاإدارية والتشكيك

[1] _ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص139.

[2] _ المرجع نفسه، ص140.

[3] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] _ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص91.

والتهكم والسخرية، بحيث يرى القارئ أنه إزاء جو مغرق في الاستهانة والاحتقار لكل ما يتناوله"[1].

ومنهج الشك هذا الذي دندن حوله بعض المستشرقين ، قد أثر في كتابات أدباء العرب في العصر الحديث، حيث انجرّ وراءه ثلة من كتّاب العربية فـــ: " ساروا على طريقة نولدكه، في تعاطيه مع التراث الأدبي القديم، وتصدّر هذه الفئة عميدُ الأدب العربي طه حسين، الذي قدم بحوثَه وفْق نظريةِ المستشرقين النقدية، ورفض الكثرة المطلقة من الأدب الجاهلي، واعتبرها منحولةً بعد ظهور الإسلام، وليست من الجاهلية "[2].

وقد غلب هذا المنهج على فكر " طه حسين "، ولاسيما في كتابه " في الأدب الجاهلي " والذي بدأه بوابل من الشك منذ البداية، حيث ثار على: " أوضاع اللغة التي تدرس في مدارسنا وجامعاتنا ومعاهدنا وينقد مدارسنا البلاغية زاعمًا أنها بالية لا تقدم ولا تؤخر ويبدو أنه نسي أن هذه العلوم والآداب والفنون التي غذى بها نفسه كان لها الأثر الأكبر في تكوينه ورفعته وهي التي جعلته يتطاول هذا التطاول وينتقد الوضع ويثور حتى على المقدسات "[3].

ويرى الكثير من النقاد أن " طه حسين " بمؤلفه هذا " في الأدب الجاهلي "، كان يسعى لتحقيق جملة من الأهداف من بينها: " محاولة تأكيد نظرية مسمومة كتبها المستشرق اليهودي مرجليوث ملخصها أن الشعر الجاهلي موضوع جله إن لم يكن كله بعد الإسلام والهدف هو تحطيم الدعائم التي يقوم عليها تفسير الألفاظ العربية الموجودة في القرآن والتي نزل بها القرآن لأن العرب يعرفون معناها الوارد في ديوانهم القديم والشعر كان ديوان العرب "[4]، بالإضافة إلى محاولته إحداث القطيعة بين الأدب والفكر الإسلامي، وذلك من خلال: " هدم النظرية الإسلامية الجامعة التي تجعل الأدب العربي قطاعاً من الفكر الإسلامي مرتبطاً به لا ينفصل عنه ويلتزم بقيمه الأخلاقية

[1]_ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، المرجع السابق، ص91.

[2]_ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص141، 142.

[3]_ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص385.

[4]_ أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام، دط، 1404ه ، ص136.

ومفاهيمه العقائدية "[1]، فهذه بعض الأهداف من أخرى كثيرة سعى " طه حسين " لتحقيقها من خلال كتابه هذا، كما وضح ذلك جمعٌ كبير من النقاد.

ويعتبر كتاب " في الأدب الجاهلي " باكورة إنتاج " طه حسين "، بعد عودته من أوروبا والدراسة التي تلقاها هناك، ولاسيما على يد المستشرق " ماسينيون " وغيره من المستشرقين، وهذا المؤلف المملوء بالشك يُعد من أخطر ما خرج به " طه حسين " على الساحة الأدبية العربية، حيث: " سيطر هذا الشك على عقله وفكره فلم ير الأدب العربي إلا من خلال منظاره، وأراد أن يكون فريداً في الشك، فاختار هذا الكتاب وشغل به نفسه ويبدو أنه لم يدر أن العلماء والنقاد قبله قد شككوا... ولكن كانوا في شكهم هذا على حق لا على باطل، ونظروا إلى الشعر العربي من خلال مقياس العدالة والإنصاف لا مقياس الشك والبلبلة والجري وراء مرجليوث وغيره من الطاعنين في الأدب العربي ولا ندري من الذي دفع بطه حسين ليكون خليفته في هذا الاتجاه "[2].

وفي سياق الحديث عن المستشرق اليهودي " مرجليوث "، والذي حمل " طه حسين " على عاتقه أن يكون خليفة له في هذا الاتجاه، فقد أثبت النقاد الذين حملوا لواء الرد على " طه حسين" ومنهج الشك هذا، أن هده: " النظرية في مجموعها مسروقة سرقة كاملة من المستشرق اليهودي مرجليوث نشرها في المجلة الملكية الآسيوية « الإنجليزية » عدد يوليو عام1925 وهو بحث في 22 صفحة بعنوان « نشأة الشعر العربي » يشك في صحة الشعر الجاهلي ويرى أن الشعر الجاهلي الذي نعرفه إنما هو في الحقيقة شعر إسلامي وضعه الرواة المسلمون في الإسلام ونسبوه إلى أهل الجاهلية "[3].

وتتضح هذه السرقة أكثر فأكثر، كما يقول النقاد، عندما نقرأ لــ" طه حسين" في كتابه " في الأدب الجاهلي "، قوله الذي يقول فيه: " إنني شككت في قيمة الأدب الجاهلي وألححت في الشك، أو قل ألحّ على الشك، فأخذت أبحث وأفكر وأقرأ وأتدبر، حتى انتهى بي هذا كله إلى

[1]_ أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، المرجع السابق، ص136.

[2]_ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص386.

[3]_ أنور الجندي، المرجع السابق، ص137.

شيء إلا يكن يقيناً فهم قريب من اليقين، ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبًا جاهليًا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهوائهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين "[1]، إذن فهو تكرار لما قاله مرجليوث في مقاله السالف الذكر حول الشعر الجاهلي، فأعاد " طه حسين " إحياءه وبنفس الطريقة.

ويذهب طه حسين إلى أكثر من هذا عندما ينفي حتى عن تلك الأسماء اللامعة في سماء الشعر الجاهلي كل ما نسب إليها من شعر، حيث رأى أن كل ما نقرأه: " على أنه شعر امرئ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم أو عنترة ليس من هؤلاء الناس في شيء، وإنما هو انتحال الرواة أو اختلاق الأعراب أو صنعة النحاة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين والمحدِّثين والمتكلمين "[2]، فهذا كلام قاله من قبل المستشرق اليهودي " مرجليوث "، ومن قبله المستشرق " نولدكه "، فأعاد " طه حسين " ترويجه بغية تزكية هؤلاء المستشرقين والوقوف إلى جانب نظريتهم المسمومة، وهذا باعتبار أن " طه حسين " في: " ثنايا كلامه عن الأدب الجاهلي واللغة نراه يأخذ من آراء مرجليوث ونيكلسون وهوار وجيب وغيره من المستشرقين الذين أوغلوا في شكهم في الشعر الجاهلي "[3].

وكل هذا الحرص من عميد الأدب العربي في نقله الأمين لسموم هؤلاء المستشرقين، والتي أعاد بثها في كتابه " في الأدب الجاهلي "، إنما أراد بها: " أن يفصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي، وأن يخلي الأديب من العاطفة الدينية والقومية وأن يفرض عليه منهج النظرية المادية في القول : بأنه يدرس الأدب كما يدرس العلم الطبيعي وعلم الحيوان والنبات " [4]، وهذه نظرية باطلة، كما يقول " أنور الجندي "، باعتبارها تسعى لجعل الأدب خالي من عاطفتي الدين والقومية.

[1]_ طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، ط02، القاهرة، 1352ه، 1933م، ص63.

[2]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]_ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص387.

[4]_أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، مرجع سابق، ص139.

ويقول الكثير من النقاد أن " طه حسين "، قد ادعى تقليد " ديكارت " في دراسته هذه، في حين نسي أو تناسى أن " الغزالي (ت 505ه _1111م) "، قد سبق " ديكارت " في هذا الاتجاه بمئات السنين، ولكن الحقيقة تقول: " أن منهج الشك، الذي حمله طه حسين، ليس هو منهج الغزالي الذي اصطنع منهج الشك البصير، ولا منهج ديكارت، الذي قصد به الخروج من دائرة الأساطير، وإنما هو منهج زائف يراد به إثارة الشبهات في وجه كل حقيقة علمية دينية يقينية، وإثارة كل عوامل القلق والاضطراب في نفوس الشباب المسلم، لينكر قيمه الأساسية "[1].

ومن أجل حشد الحجج والبراهين لمنج الشك هذا الذي تبناه " طه حسين "، راح هذا الأخير كما يقول العلماء، يضرب هنا وهناك، مثيرًا مجموعة من المسائل، بغية تشتيت الرأي العام وإحداث المغالطات، كإثارة مسألة العرب القحطانية والعدنانية، وكذا العاربة والمستعربة، واللغة الحميرية، واللغة الفصحى، واللهجات العربية، والاختلاف بين كل هذه المسائل، وكل هذا تحت مناقشة قضية نحل الشعر الجاهلي، وفي الحقيقة أن: " الذين يتصورون أن طه حسين ألف كتابه عن الشعر الجاهلي، ليناقش « الشعر المنحول » هم مع الأسف قصار النظر، فالواقع أن طه حسين أراد أن يبث مجموعة من الآراء المنحرفة الإلحادية، ويطرح نظرية الشك الفلسفي، ويهدم عدداً من القيم والدعائم في الفكر الإسلامي والأدب العربي، فلا علاقة في الحقيقة بين البحث وبين اللهجات العربية، ولكنه محاولة للهجوم على القرآن الكريم والتشكيك فيه، والقول ببشرية القرآن، وأنه من قول محمد صلى الله عليه وسلم "[2].

ويضيف أهل الاختصاص، أن جل مؤلفات " طه حسين " كانت تدندن حول مهاجمة كل ماله علاقة بالتراث العربي القديم وإلصاق السلبيات به، وفي المقابل ربط كل ما هو إيجابي بالحضارة اليونانية القديمة حيث إنه: " من يقرأ في الأدب الجاهلي وبعده حديث الأربعاء ثم مستقبل الثقافة في مصر يدرك مدى التزام طه حسين بالتهوين من أمر التراث والتهويل بتأثير اليونان عليه قديمًا، ثم التطلع حديثًا إلى ربط مصر بأوربا وبالثقافة المتوسطة توصلا إلى سلخها من العرب إذا لم يجاورها

[1] _ أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، المرجع السابق، ص147.

[2] _ المرجع نفسه، ص149.

في الدوران بالفن الغربي "[1]، وكان هدف " طه حسين " بعد مهاجمته للتراث، السعي لتغريب مصر وسلخها من الحضارة العربية، تلبية وخدمة لأفكار هؤلاء الحاقدين من متطرفي الاستشراق، الذين سعوا بكل الطرق لتشتيت الأمة العربية وثقافتها، حتى من خلال ضربها من الداخل وبأيدي وأقلام أبنائها، كما هو المثال مع طه حسين.

فهذه بعض أفكار "طه حسين " عميد الأدب العربي من أخرى كثيرة، قد عدّها العلماء المتخصصون في هذا المجال قمة التطرف، بل تقليد لأفكار هؤلاء المستشرقين المتطرفة حول الأمة العربية، وكل ما تعلق بها من دين وتاريخ ولغة وتراث، وغيرها من مختلف من مختلف الإيجابيات التي لا تخفى على عاقل، ولاسيما ما تعلق بالشعر الجاهلي ونثره، حيث كانت أفكاره، أي طه حسين: " أكثرها بل جلها شك غائر في الشعر الجاهلي ونثره بما يحتوي عليه من خطب وحكم وأمثال ووصايا وكل هذه الآراء نراها عند مرجليوث وغيره من المستشرقين الذين ينظرون بعين الحقد إلى اللغة العربية والدين الإسلامي نظرة حقد دفين نشأوا عليه ولا يستطيعون منه هروبا... ومن أجل ذلك نرى أن نزعة طه حسين نزعة أوربية بحتة تحاول أن تجرد العرب من تراثهم وتطعن في دينهم وتزيل عقيدتهم "[2].

فكما طعن مرجليوث في القرآن الكريم، وفي النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكذا شكه في صحة الشعر الجاهلي وغيرها من الأمور، جاء من بعده " طه حسين " كذلك وأعاد بعث هذه الأفكار المتطرفة وغير العادلة، وبثها عميد الأدب العربي في قلب الأمة القرآنية، مباركة لأفكار هؤلاء المستشرقين ومدحاً لهم، كما وضح ذلك الكثير من النقاد.

1 _ 3 : الصحافة العربية منبر لتمرير رسائل المستشرقين ومدحهم :

تعتبر الصحافة أحد المنابر المهمة لتمرير الرسائل، بغية توجيه الرأي العام، سواء كانت بأمور إيجابية أو سلبية، وهذا حسب توجه كاتب المقال، فضلا عن توجه الجريدة قبله، ولما كانت الصحافة كذلك استغلها أتباع المستشرقين المادحين والمباركين لهذا الفكر، أو بتعبير آخر دعاة

[1] _ أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، المرجع السابق، ص157.

[2] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص389.

التغريب في الوطن العربي، وهذا لتأكيد ولائهم للاستعمار ولكل دعوات التغريب الوافدة من هناك، وبهذا ظهر جمع من كتّاب العربية كانوا منبثين في أنحاء العالم الإسلامي، وحتى الغربي مثل: " أديب إسحاق، وسليم النقاش، وسليم عنجوري، وفرح أنطوان، وخليل غانم، وصروف، ونمر، ومكاريوس، وجرجي زيدان، وجورج طنوس، وخليل ثابت، وكان على رأسهم جميعًا يعقوب صنوع اليهودي فكانوا عملاء الماسونية والاستعمار ودعاة اللغة العامية والزجل والكلمات الفرنسية العامية "[1].

وقد احتلت الصحافة مكانة مميزة حتى أضحت من بين أقرب الأشياء إلى قلوب الجماهير، وذلك لتأثيرها فيهم، وبهذا: " قد مضى خط الصحافة يحمل سموم التغريب كله « فهو أقرب إلى الجماهير وأقدر من الكتاب في غرس هده السموم » ومن ثم أصبحت الصحافة العربية هي منطلق تيار التغريب، فقد حملة لواء الدعوات المسمومة : العامية، الفرعونية، الجنس، العالمية، الفرويدية ثم الماركسية أخيرًا، وكانت التبعية للمناهج الغربية واضحة في هذه القضايا "[2].

والمتتبع للصحافة العربية، والمطالع لفحوى صفحاتها المختلفة، يجد أن الكثير من هذه الصحف لا همّ لها سوى: " إحياء ذكرى المغنيين والمغنيات والراقصين والراقصات، هناك ألبوم كامل يفتح يوميًا على هذه الذكرى أو تلك، هم الفنانون فقط الذين تحتفل بهم الصحف، أما أعلام الفكر والأدب والصحافة فلا يذكرون "[3]، وبالتالي كان الإعلاء من شأن هؤلاء مقصود، وعلى حساب تلك النخبة الحقيقية من أعلام الفكر والأدب، والذين طالما قادوا الأمة العربية الإسلامية إلى الأمام بأفكارهم السامية.

والصحافة كما يراها الكثير من النقاد على أنها إحدى المنابر المهمة، التي ولج من خلالها المستشرقين ولو بأقلام عربية لتمرير أفكارهم، والتي من بينها الدعوة إلى العامية وبشتى الطرق، ومن بين هذه الطرق إعطاء: " الصحافة قدرًا كبيرًا لأمثال سيد درويش، وبيرم التونسي على نحو

[1]_ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص389.

[2]_ أنور الجندي، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص11.

[3]_ المرجع نفسه، ص15.

لم يعط لشوقي وحافظ إبراهيم... ذلك لأن الهدف هو إعلاء شأن الفلكلور التافه المتصل بالعامية وبالمشاعر الساذجة التي عرفتها البشرية في طفولتها وطبقاتها الدنيا.. بينما قدم الشعر البليغ والأدب الرفيع دورًا خطيرًا في رفع عقليات الأمم ومشاعرها إلى المعاني العليا والقيم الحقيقية "[1]، فكان الفارق مختلفاً كما يراه النقاد، بحيث لا يستوي من يدعو إلى كل ما هو راقي باستعمال الفصيح، ومن يدعو إلى كل ما هو منحط وبتلك اللهجات المختلفة.

والحديث عن هؤلاء الميالين للفلكلور العامي، هو الحديث عن الأدب المعاصر وما لحقه بسبب هذا الاتجاه، حيث يرى الكثير من العلماء أن: " الأدب العربي المعاصر انحرف عن جادته حين يتحدث عن مرسي جميل عزيز، وحسين السيد، وأحمد رامي، وبيرم التونسي وتجاهل عشرات من الأعلام أمثال عبد العزيز جاويش، وأمين الرافعي، وأحمد زكي باشا، ومصطفى صادق الرافعي، وفريد وجدي، ومحب الدين الخطيب، وكامل كيلاني.. هذا في مصر.. أما في العالم الإسلامي فهناك عشرات من أمثال شكيب أرسلان، وعبد العزيز الثعالبي، وطاهر الجزائري، وعبد الحميد بن باديس، ومصطفى الغلاييني وعلال الفاسي، وهناك عشرات من الأعلام في مجال الأدب وحده.. وأمثالهم في ميادين الفكر والاجتماع كانوا من الأمثلة العالية في الكفاح من أجل حماية القرآن، واللغة العربية الفصحى "[2].

ولما حملت مجموعة من كتّاب العربية على عاتقهم الدفاع عن أفكار هؤلاء المستشرقين والترويج لها، كان لابد من إيجاد وسيلة لتخليد أسماء هؤلاء المؤيدين من العرب، وهو الأمر الذي ظهر في صفحات الصحف بأقلام بعض الصحفيين، الذين حملوا بدورهم لواء الدفاع عن المدافعين عن الفكر الاستشراقي المتطرف، بينما الحقيقة كما يراها النقاد تقول أن: " الذين يدافعون عن طه حسين اليوم هم الذين يدخلون بيرم التونسي، ونجيب الريحاني، ويوسف وهبي في قائمة القمم الشوامخ.. لأنهم يدافعون عن العاميات، وعن نشر الفلكلور والأزجال، والحواديث والخرافات والأساطير بهدف إفساد أديم الفكر الإسلامي.. والأدب العربي، وتحكيم هذه الجوانب الفاسدة في

[1]_ أنور الجندي، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، المرجع السابق، ص82.

[2]:_ المرجع نفسه، ص82، 83.

عقول شبابنا.. وهي جزء من تيار ظهر منذ سنوات بعيدة على لأيدي المبشرين والمستشرقين.. ومن ذلك كتاب لويس عوض الذي أخرجه أخيرًا عن « فقه اللغة العربية » وهو كتاب مسموم يحاول أن يهدم جميع القيم الحقيقية المتصلة بالبلاغة العربية وإعجاز القرآن "[1].

ومن كتّاب العربية الذين ذاع صيتهم في الصحافة العربية بسبب فكرهم التغريبي " توفيق الحكيم"، والذي تلقى تكوينًا لا بأس به في الدول الغربية، حيث تخصص في مجال القصة العربية ذاهبًا بها إلى منحى تغريبي، لم تعهده هذه الأخيرة من قبل، وعليه: " فقد حاول توفيق الحكيم بعد عودته من الغرب « دون أن يحصل على شهادات القانون ورضي بأن يكون خادمًا للأسطورة الإغريقية » إخراج الأدب اليوناني القائم على علم الأصنام والمتمثل في صراع القدر وصراع الآلهة وكلاهما غريب عن النفس العربية الإسلامية وكان في مقدمة من نقلوا القصة العربية والمسرحية إلى إحياء الأساطير القديمة. ومن هنا كانت فرحة طه حسين التي لم يخفها حين أعلن أن هذه القصة فتح لم يسبق في تاريخ الأدب العربي كله، لأنه كان يعرف مدى السموم التي يمكن أن تنشرها في جو الأدب العربي والفكر الإسلامي، وخاصة إذا كانت هذه المسرحية قد وردت في التوراة وفي القرآن وهي تختلف في كل منهما عن الآخر، وقد اختار توفيق الحكيم أن يعتمد رواية التوراة في كلتا القصتين عن أهل الكهف وعن النبي سليمان عليه السلام "[2]، أي أن القصتين كما يقول " أنور الجندي " وغيره من النقاد، ليستا في الحقيقة سوى نسخ كامل من أسفار اليهود.

وهذا الفكر التغريبي هو واضح في كثير من قصص ومسرحيات " توفيق الحكيم " كما يقول النقاد، ولاسيما الوثني منه، وعليه: " وعندما أخذ توفيق الحكيم في كتابة مسرحياته واتخذ من الأساطير اليونانية مصادر لبعض هذه المسرحيات واجه من النقاد العرب غير المنتمين إلى مذهب النقد الغربي الوافد معارضة تكشف عن الفوارق العميقة بين النفس العربية والأسطورة اليونانية "[3].

[1]_ أنور الجندي، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، المرجع السابق، ص83.

[2]_ المرجع نفسه، ص198.

[3]_ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص364.

ويعني هذا أن النفس العربية حتى في جاهليتها لم تتطرق إلى مثل هكذا خرافات، فما بالنا بمجيء الإسلام الذي حارب هذه الوثنيات ودعا إلى إفراد الله الواحد الأحد، والأدب جزء من هذه الدعوة، وبتعبير آخر فإن " توفيق الحكيم " كما يقول " أنور الجندي " وغيره من النقاد، أنه تكلم في المسرحيتين السالفتين الذكر بالكلام الذي جاء في كتب اليهود المحرفة، ولاسيما قصة أهل الكهف حين وصفهم بأنهم أحبوا الدنيا وأهوائها، وهذا فيه مخالفة واضحة لما جاء في القرآن الكريم، بأنهم فتية آمنوا بربهم، وعليه فقد فروا بدينهم خوفاً من بطش هؤلاء الظالمين من قومهم أهل الوثنية، ولكن " توفيق الحكيم " أبى إلا أن يكون جارياً وراء: " رياح التغريب ويرتبط هذا برأيه الذي أعقبه في « العرب » ــ وقد نسب إليهم الجمود والتخلف وصور حضارتهم الإسلامية بصورة رزية ــ وقد وصل في ذلك إلى الحد الذي فاق فيه المستشرقين المتعصبين أمثال دوزي، ومرجليوث بشهادة الدكتور طه حسين نفسه "[1].

ومن الأمور التي ذاع صيتها في الصحافة العربية كذلك، وهي مطبوعة بطابع تغريبي، نجد " الشعر الحديث " ممثلا في بعض رواده المعاصرين أمثال " صلاح عبد الصبور "، حيث نجد أن هذا أن هذا الشعر كما يقول العلماء قد: " خرج عن أحضان الأصالة التي عرفها الشعر العربي المنظوم، وذلك أن الذين التمسوه أسلوبا للتعبير كانوا في حقيقة أمرهم متغربون، تابعون لمفهوم وافد من الأدب الغربي الذي له منهجه وطبيعته الشعرية المختلفة عن النظم العربي، وكانوا من حيث المضمون تسيطر عليهم فكرة الخروج عن القيم والضوابط والمعالم التي يدور فيها الشعر العربي الأصيل "[2].

وهناك معالم كثيرة جعلت من مضمون الشعر العربي الحديث تابع للغرب، أو فيه شيء من التغريب على أقل تقدير، كما يرى بذلك أهل الاختصاص، ومن: " أبرز هذه المعالم التي اغترب فيها الشعر الحديث سيطرة الأساطير والخرافات القديمة إليه والدعوة الملحة إلى إحياء هذه الوثنيات وذلك حين أخذ برموز الصلب والخطيئة وهي مفاهيم نصرانية وافدة ليس لها أصل في معين التراث

[1] ــ أنور الجندي، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص199.

[2] ــ المرجع نفسه، ص270.

العربي الإسلامي، فضلا عن الإحساس الواضح بالسخرية لكل مقومات الدين والأخلاق وتبني نظريات الفن للفن وإعلاء الجماليات على الأخلاق وسيطرة مفاهيم الأدب اليوناني والإغريقي التي تركز على الجنس والجسد واللذة والدوران في فلك مفهوم سارتر النفسي وفرويد الفكري والجري في طريق دوركايم الكاره للفطرة والأسرة والزواج "[1].

وهذه كلها أمور وافدة من خارج حدود الوطن العربي، لقيت أقلاما صاغية، حيث جسدها الكثير من رواد هذا الشعر في أشعارهم، وبالتالي كانت واضحة المعالم في: " أشعار صلاح عبد الصبور، وأدونيس، وخليل حاوي، ونزار قباني، والبياتي. ولا ريب إن حصيلة الشعر الحديث قد أكدت إن هذا الاتجاه بعيد عن الفطرة التي فطر عليها الأدب العربي، وأنه نبت لا جذور له، وأن التجربة التي احتضنتها قوى معينة ودفعت بها إلى آفاق الصحف قد جاءت بالفشل وانحدرت ولم تلبث أن ماتت، وقد كان ذلك نتيجة أمرين : أن التعبير نفسه هابط ومستواه الشعري ضعيف، وأنه ليس شعراً بالمعنى الحقيقي وإنما هو أقرب إلى عبث النثر "[2].

وكل هذه الموجة من الأقلام، التي جندت وراء هذا النوع الجديد من الشعر، إنما كانت مدفوعة بأيادي أجنبية كما يقول النقاد، وعلى رأسها الحركة الاستشراقية، وذلك بغية: " تحقيق غايات بعيدة من التأثير في البيان العربي الأصيل واللغة العربية الفصحى وهدم عمود الشعر الذي هو الشق الثاني للبلاغة العربية، والهدف هو إشاعة روح العاميات وخلخلة البناء القوي المتين الذي يقوم على مستوى بيان القرآن وبلاغته وذلك لمحاولة إيجاد حاجز باستحداث أساليب عامية نازلة تفصل الأدب العربي عن إطار القرآن والسنة "[3].

وكي تتضح الرؤية أكثر حول تأثر الشعر الحديث بالشعر الغربي، هناك اعتراف من أحد أبرز رواد هذا الشعر، حيث اعترف بلسانه على أنه متأثر أيما تأثر بهؤلاء المستشرقين، في كثير من المناحي حيث: " يتحدث أحد أبناء هذا الجيل الذي كونته ثقافة التغريب « صلاح عبد الصبور »

[1]_ أنور الجندي، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، المرجع السابق، ص270.

[2]_ المرجع نفسه، ص270، 271.

[3]_ المرجع نفسه، ص271.

فيقول: وقر في أذهاننا الإخلاص لنا إلا بإدراك ما عليه هؤلاء القوم من علم وفن وذوق، وبالرغم من أنني كنت طالب لغة العرب وآدابهم « في الجامعة » إلا أن الأسماء التي تفزع أذاننا كل صباح أو معظمها كانت أسماء أجانب وكفى بالفزع العالي من المستشرقين دليلا على ذلك، فإن قراءة طه حسين كانت تقودنا إلى « نلينو » وقراءة تاريخ العقائد الإسلامية يقودنا إلى « أجناس جولد تسيهر »والبحث عن مصادر الأدب العربي كان يقودنا إلى « نولدكه » "[1].

وكل هذه الظروف السالفة الذكر وغيرها كثير، كانت عاملا من عوامل نشوء هذا الشعر، حيث يرى النقاد إنه: " في هذا الطقس المغرب الضائع نشأ الشعر الحر الذي لم يكن أكثر من تقليد أجنبي في مرحلة احتواء ضخمة كانت مقاده الثقافة فيها إلى الماركسيين والعلمانيين الذين كانوا عاجزين عن الأداء العربي البليغ، والذين كانوا يعملون على الخطة المرسومة في هدم هذا السور العالي الذي يصل الأدب العربي والبيان العربي بالقرآن الكريم، وهذا مجال جديد مهما كان زائفاً لإبراز شخصيات وزعامات ومن هنا جاء لويس عوض ليعطي صلاح عبد الصبور إمارة الشعر « الحر » جزاء له على تضمينه شعره بعض مفاهيم الإنجيل والصلب والخطيئة، وهي مفاهيم لا يعرفها الأدب العربي الأصيل "[2].

وهذا التطبيل من قبل بعض الكتّاب العرب، في مساندتهم للأفكار الاستشراقية، وتوجههم التغريبي لم يذهب سدى، بل لقي كل الترحيب والتشجيع في الضفة الأخرى، وهذا لأن: " الغرب عندما يولون اهتمامًا للسياب والبياتي وصلاح عبد الصبور ويعطون الجوائز، فإنما يريدون أن يقولوا كلمة واحدة : هذه بضاعتنا ردة إلينا "[3]، أي إذا مدحتهم واتبعت أفكارهم تُمدح، وكلما روجت لبضاعتهم يُروج لك وتكون من المقبولين، أو قد يُروج لك فتكون من الرواد في مجال ما كما يقول أهل الاختصاص.

[1]_ أنور الجندي، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، المرجع السابق، ص271، 272.

[2]_ المرجع نفسه، ص272.

[3]_ المرجع نفسه، ص273.

1 _ 4 : حركة الرفض في الأدب العربي الحديث :

ومن نتائج التغريب في الوطن العربي كذلك، ظهور حركة الرفض في الأدب العربي الحديث، والتي اتكأت في توجهها الجديد هذا كما يقول النقاد، على بعض الشبهات التي أُطلقت قديماً من قبل الشعوبية، والتي لم تفلح كما يذكر ذلك أهل الاختصاص في الأدب العربي، غير أن حركة الرفض هذه قد استخدمت: " جميع عناصر الشبهات القديمة مادة خصبة لإثارة الأزمة من جديد من منطلق عصري هو رفض الحضارة العربية الإسلامية وتغليب الرموز الدينية غير الإسلامية على الأدب العربي، وقد اتخذت القضية منطلقها من مفهوم الفكر الغربي الوافد، والزائف الذي يصور الإنسان تصويرًا ماديًا خالصًا ويتكئ اتكاءً شديدًا على نظريات فرويد وماركس وداروين وسارتر وليفي بريل ودوركايم وماركو "[1]، وبالتالي هو تقليد لنظريات غربية.

وهذا الرفض الذي فُرض على الأدب العربي، هو في حقيقته: " يختلف عن مفهوم الرفض الأصيل. فهو رفض مطلق، لا ماضي له ولا مستقبل، ولا يرتبط بهدف معيّن ولا يرمي إلى غاية ما، ثم هو رفض شامل على مستوى كل القيم والعقائد والمفاهيم التي جاءت بها الأديان والعقائد"[2]، والرفض هو ظاهرة موجودة في الأدب العربي عبر مختلف عصوره، غير أن هذا الأخير كان أصيل المنطلق صافي المنبع، لأنه كان عبارة عن نقد للواقع بغية تحريكه للأمام، لأجل معالجة عوامل الضعف والتخلف، وبالتالي كان: " رفض نزيه مضيء له هدف وغاية وطبيعة خيرة، وله رباط قائم مع الواقع والحياة مع محاولة تجديدها وإصلاحها ودفعها إلى الأمام وإلى التقدم "[3].

ولكن الرفض الجديد الذي عرفه الأدب العربي الحديث، وفي منتصف السبعينيات كما يرى بذلك عديد النقاد، هو عبارة عن رفض حملته: " رياح التغريب _ فقد كان واضحًا من مفاهيمه ومصادره أنه ليس أصيلاً، وليس منطلقًا من جذور عريقة، وليس عربي الطابع، ولكنه وافد غير صالح للتربة العربية، غريب لا يلتقي بالنفس العربية ولا بالمزاج العربي الذي شكله الإسلام. ومن

[1] _ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص367.

[2] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هنا فقد وضح تحت ضوء الأصالة العربية الكاشفة أن هذا الرفض إنما هو عداء للعربية والعروبة والأدب العربي والفكر الإسلامي والإسلام نفسه، أو أنه صورة أخرى من محاولات الهدم التي حملت لوائها المناهج الوافدة "[1].

والرفض في الأدب العربي كما عرفه النقاد، هو تجاوز كل ما هو قديم، أو له صلة بالتراث، بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك حينما قالوا أن الرفض هو السخط على الوجود العربي، والوحدة العربية، وهذا من خلال التوجه الذي توجهت به الشعوبية قديما، بحيث تعتبر: " الشعوبية هي المقابل القديم للرفض وكلاهما يتمثل في إبادة العرب ونسف الإسلام وزعزعة الوجود العربي والدعوة إلى الانفصال والإقليمية والقوميات المحلية المتعددة، وعدم الاعتراف بالكيان العربي الواحد "[2]، وعليه قد سارت حركة الرفض في الأدب العربي الحديث على منوال الشعوبية في التراث العربي القديم، حيث احتضنت: " حركة « الرفض » الأدبية الحديثة عوامل الشعوبية القديمة، فهي مثلها تنادي بإعادة العلاقات الوثنية القديمة، وإعادة إحياء الصفحات الفاسدة من التاريخ التي أثارها وأوقد نارها : بشار وابن المقفع والخليع والرقاشي وابن يسير وسهل بن هارون وأبو عبيدة معمر بن المثنى "[3].

وحركة الرفض في الأدب الحديث لطالما نادت بالاكتفاء الذاتي للجديد، وهذا يعني حسبها أن: " التراث القديم لا قيمة له في ذاته كغاية أو وسيلة ولا يحتوي على أي عنصر من عناصر التقدم، وبأنه جزء من تاريخ التخلف أو أحد مظاهره، وأن الارتباط به نوع من الاغتراب ونقص في الشجاعة، وتخل عن الموقف الجذري، ونسيان للبناء الاجتماعي الذي هو إفراز منه في حين أن الجديد هو علمي عالمي، يمكن زرعه في كل بيئة "[4].

---

[1] _ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، المرجع السابق، ص367، 368.

[2] _ المرجع نفسه، ص368.

[3] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] _ حسن حنفي، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط04، بيروت _ لبنان، 1412ه، 1992م، ص29.

وللتعريف أكثر بهذه الحركة فقد أجريت العديد من الدراسات حولها _الشعوبية القديمة_ كما يقول النقاد، بغية تقريبها أكثر من قراء الأدب في عصره الحديث، بل والأكثر من ذلك أنهم جعلوها هي مادة الأدب في عصوره القديمة الزاهية، وهذا بفعل اجتهادات المستشرقين الرامية إلى إبراز هذه الحركة المتطرفة في وقتها، وقد اتبع المستشرقين في هذا الطريق بعض كتّاب العربية، وكان: " في مقدمة هؤلاء الدكتور طه حسين الذي أعلى صفحات هؤلاء الزنادقة قال : إن هذه الزندقة ليست إلا ضرباً من السخط على العرب وعاداتهم وأخلاقهم ومحافظتهم ودينهم بنوع خاص "[1].

وبالعودة للحديث عن التجديد نجد أن هذا الأخير كما يقول النقاد كثيرا ما يصدر عن بيئة مغايرة للبيئة المحلية، ولذلك: " كان أنصار التجديد متأوربين، سلوكيا أو ثقافيا، وقد نبهت حركات الإصلاح الحديثة على خطورة التقليد والتبعية، ولكن دون جدوى، فنظراً لانفصام عديد من المثقفين عن التراث القديم نتيجة للاغتراب الحضاري فإنهم لا يجدون بديلاً إلا في التراث الغربي الذي كانت له الريادة منذ أربعة قرون دون وعي منهم بانحسار هذه الريادة الآن، ودون دراية بأن هذه الثقافة التي ينهلون منها ثقافة محلية صرفة، وليس فيها أي أثر لدعوى العالمية والشمول "[2].

وقد حذر عديد النقاد من التجديد المفاجئ، أو اليقظة المفاجئة كما يسميها البعض، حيث رأوا أن: " التيه الذي بذرته اليقظة المفاجئة في أذهان الكثيرين يوشك أن يُستغل من قبل بعض النزعات التي تريد بدايةً « حرة » ومسرّعة تنتهي إلى الدعوة إلى « فقدان الذاكرة القومية » : أي ليس التخلي، فقط، عما يشكل عنصراً سالباً في الماضي، ويسهم في تكبيلنا وإضعافنا، وإنما حتى عن كل ما هو إيجابي وصالح في تاريخنا. أي، بتعبير آخر، عن كل ما يشكل جوهر حضارتنا وشخصيتنا التاريخية "[3].

---

[1] _ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص368.

[2] _ حسن حنفي، التراث والتجديد، مرجع سابق، ص30.

[3] _ كمال خير بك، حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط02، بيروت _ لبنان، 1406ه، 1986م، ص23.

وحركة الرفض الجديد في الأدب العربي الحديث كما تقدم ذكره، ما هي إلا تقليد للغرب، وتأثر واضح بالحركة الاستشراقية وترديد لأفكارها كما يقول النقاد، ولذا قد أخذ: " شعراء الرفض أو شعوبيو العصر بنظرية أفضلية الأجناس بل إنهم لا يختلفون كثيرًا عن رينان الذي حكم على القضية السامية بجدب الخيال وعدم القابلية للخصب "[1]، فعن أي رفض يتحدثون مادام حديثهم هو عبارة عن ترديد لأفكار هؤلاء المستشرقين، أمثال رينان، ولابي وغيرهم.

ويرى النقاد أن هذا الرفض قد جاء بغية تحقيق مجموعة من التحديات وهي: " أولا : كسر عمود الشعر، ثانيا : هدم اللغة العربية، ثالثا : إدخال الرموز الدينية، رابعا : معارضة العروبة والدعوة إل الفينيقية، خامسا : الهجوم على التراث "[2]، وهذه كما يقول العلماء كلها أفكار عَمَدَ المستشرقون على تجسيدها، وهو أمر قد ظهر جليًا في صورة بعض أبناء العربية، الذين كانوا عونًا على تحقيق هذه الأفكار وغيرها.

وما يمكن استخلاصه من الموقف العربي المؤيد للحركة الاستشراقية، هو أن أصحاب هذا الموقف كما سبق ذكره، راحوا يرددون أفكار المستشرقين ويمدحونهم ويؤيدونهم بمختلف الطرق، غير أن الغريب في الأمر أن هذا المدح والترويج، كان لأفكار مملوءة بالحقد والتعصب تجاه الأمة العربية الإسلامية، سواء ما تعلق بدينها أو تراثها أو لغتها وأدبها، وعليه كانت أفكارًا كما يقول النقاد، خالية في معظمها من الدراسة الموضوعية.

وقد تجسد هذا الموقف من خلال بعض النماذج السالفة الذكر، كدراسة الخيال الشعري عند العرب التي قام بها " الشابي "، والذي تبين من خلال أقوال العلماء حول دراسته، أنها عبارة عن إعادة صياغة لأقوال " رينان ، ولابي " وغيرهم من المستشرقين الذين سبقوه في الحكم على العقلية العربية بالجمود والتخلف، فأعاد " الشابي " طرح هذه الأفكار المتطرفة بطريقته الخاصة.

كما تجسد هذا الموقف المؤيد من خلال منهج الشك الذي أطلّ به " طه حسين " على الساحة العربية، حيث راح يشكك في كل شيء، حتى بعض الأمور الدينية ناهيك عن الأمور

[1] _ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص368.

[2] _ المرجع نفسه، ص370.

الأدبية، كالتشكيك في صحة الشعر الجاهلي، وهذا المنهج كما أكد ذلك النقاد، هو عبارة عن دراسة قام بها المستشرق اليهودي " مرجليوث " بعامين قبل كلام " طه حسين " في هذا الموضوع، وقبلهما كان هذا توجه المستشرق الألماني " نولدكه "، وبالتالي كان " طه حسين " مردداً لأفكار استشراقية واضحة، وهي جد عدائية مع الأسف للأمة العربية الإسلامية.

وحتى الصحافة العربية ممثلة في أقلامها التغريبية، كان لها دور في المدح والترويج لأفكار هؤلاء المستشرقين، حيث ظهر فيها الترويج لحركة الرفض الأدبية، والدعوة إلى القومية، والتشجيع على نشر العاميات على حساب الفصحى، وهذا كله من خلال إبراز بعض الأسماء المحسوبة على هذه الأفكار التغريبية بغية تقريبها من القارئ، وهذا على حساب النخبة المعتدلة من مثقفي العربية تم إقصاؤهم من منابر الصحافة بطريقة ممنهجة كما يقول النقاد، وعليه كان هذا الموقف المؤيد للحركة الاستشراقية خالي من الأدلة الموضوعية الكافية لتبرير موقفه هذا.

2 : الموقف العربي المعارض للحركة الاستشراقية :

يمثل الموقف العربي المعارض للحركة الاستشراقية السواد الأعظم من مثقفي العرب، وذلك لأن حتى أصحاب الموقف المؤيد للاستشراق، كان لجلهم بعض التحفظات على الأفكار الاستشراقية، ناهيك عن أصحاب الموقف المعارض أو المنصف، ولذا كان الموقف العربي من الحركة الاستشراقية دائماً يتميز بالحرص والحذر تجاه كتابات هؤلاء المستشرقين، اللهم إلا إذا استثنينا طائفة دعاة التغريب من مثقفي العرب، وهم يعدون على الأصابع كما يقول النقاد.

وعليه كان الموقف العربي المعارض للاستشراق، باعتبار القضايا التي أثارها هذا الأخير، والتي وإن كانت: " تُعد أخطر هجوم قام به أصحابه على العرب وشخصيتهم ودينهم ولغتهم وفكرهم وثقافتهم وأدبهم، فإن رد الفعل الذي قام به العرب يُعد بحق أروع دفاع عما هو عربي وإسلامي حتى ليستطيع المرء أن يعتبر ما أنتجوه خلال مواجهتهم لهذا الهجوم أروع ما في أدبهم المعاصر من فكر وفلسفة وعمق وثقافة ومنطق "[1].

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص684.

ومهما قيل عن هذا الأدب أو قد يقال، فإن هذا الأخير قد اختلفت فيه بعض الآراء، والتي منها من يقول لا داعي للرد على هؤلاء المستشرقين ماداموا لا يمثلون سوى حضارتهم وأفكار بلادهم الغربية، وحتى وإن تناولوا موضوعات الشرق؛ ومنهم من قال لابد من تبيين زيف وخطورة هؤلاء وأفكارهم المتطرفة، وعليه: " سواء اعتبر هذا النوع من الأدب أدبًا جدليًا أم أدبًا فلسفيًا أم أدبًا دفاعيًا فلا يسعه إلا وأن يعترف بروعة أسلوبه وغزارته وما فيه من خصائص ومميزات "[1].

وللاستدلال أكثر على روعة هذا الأدب وما فيه من أمور إيجابية، وعلى كافة الأصعدة، لابد على القارئ تصفح ما في كتابات: " رفاعة الطهطاوي، وجمال الدين الأفغاني، وقاسم أمين، ومحمد عبده، ورشيد رضا، والأمير شكيب أرسلان، وفريد وجدي، ومصطفى عبد الرزاق، وحسين الهراوي، ومصطفى الرافعي، ومحمد حسين هيكل، ومحمد كرد علي، وعباس محمود العقاد، ومصطفى السباعي، وإبراهيم بيومي مذكور، ونجيب العقيقي، وعائشة عبد الرحمن، ومالك بن نبي، ومحمد البهي، ومحمد الغزالي، وأنور الجندي، ومحمد محمد حسين، ومحمود شاكر وغيرهم "[2].

وبالعودة إلى الموقف العربي المعارض، أو الرافض للحركة الاستشراقية، يقول النقاد أنه موقف جاء نتيجة ظهور ووقوف: " مجموعة من المفكرين المسلمين موقف الرفض المطلق؛ فلم يقبلوا أي إسهام في الثقافة الإسلامية من أناس لا يدينون بالإسلام. لم يقبلوه على أنه حجة وعلى أنه يقدم جديدًا في المفهوم، حتى ما جاء من باب الإطراء والمديح التي تلفظ بها بعض المستشرقين أو بعض الشخصيات الغربية... فكان هذا الفريق يقف منها موقف المتحفظ ويحاول أن يقرأ مابين السطور "[3]، وقد كان تبرير الفريق الرافض لموقفهم هذا، من خلال نظرتهم تجاه: " الاستشراق

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص684.

[2] _ المرجع نفسه، ص 684، 685.

[3] _ علي بن إبراهيم الحمد النملة، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص210، 211.

على أنه علم أوروبي، وهو صورة لما توصلت إليه أوروبا في معرفة الشرق، وهو يعكس موقفًا أوروبيًا وعقلية أوروبية "[1].

ويتبين الموقف العربي المعارض للحركة الاستشراقية كذلك، من خلال ما قام به أصحاب هذا الموقف من مهاجمة الحركة الاستشراقية: " وطروحها المختلفة، وما توصلت إليها من دراسات ومفاهيم، وأشاروا في أكثر من مناسبة وحديث، إلى أنّ المستشرقين يتعاطون مع الموضوعات المتناولة، من منظور شخصي ومصلحي، ويتصرّفون في فهم النصوص وترجمتها، ونقْلها إلى لغاتهم، حسب أمزجتهم وتصوراتهم الخاصة "[2].

وفي نفس السياق يؤكد " مصطفى السباعي "، والذي يُعد من أبرز المعارضين للحركة الاستشراقية، وهذا من خلال كشفه لزيف وتحريف هؤلاء الحاقدين على الثقافة العربية الإسلامية، حيث قال بأن: " هؤلاء الأساتيذ « المستشرقين » لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلاً، وتوثبوا فيه توثبًا، ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس... وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئًا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمّن منه المرجوح، وفضّل المفضول"[3]، أي أنهم حسب " السباعي " بعيدي كل البعد عن الدراسة الموضوعية، بل تسيطر على جل دراساتهم الناحية الذاتية، وهذا ناهيك على أنهم لم يتلقوا العلم الشرقي من منبعه الصافي من أجل أن يفهموه كما ينبغي.

وقد أكد هذا الموقف السالف الذكر من " مصطفى السباعي "، أحد عمالقة الرفض للحركة الاستشراقية، المفكر الجزائري " مالك بن نبي "، والذي اتخذ موقفًا مناهضًا من أقوال هؤلاء المستشرقين، حيث قال إنه: " يتبين لنا أن الإنتاج الاستشراقي، بكلا نوعيه، كان شرًا على المجتمع الإسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والإطراء التي

[1]_ علي بن إبراهيم الحمد النملة، الاستشراق والدراسات الإسلامية، المرجع السابق، ص211.

[2]_ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص66.

[3]_ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، مرجع سابق، ص16، 17.

حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والإقلال من شأننا بحيث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار "[1]، يؤكد " مالك بن نبي " على أن الاستشراق كله خطر على المجتمع العربي الإسلامي، سواء تعلق الأمر بما أصدره هؤلاء من مدح أو ذم، أي أنه لا يفرق بين مستشرق وآخر، لأنهم جميعًا يمثلون خطرًا على الإسلام، بل هم مشتركون في تشويه الإسلام والحضارة والأدب، وحتى أولئك الذين يقال عنهم أنهم دافعوا عن الإسلام وأنصفوه، يقف منهم " مالك بن نبي " موقف الرفض، من خلال كشف أخطائهم الكثيرة التي وقعوا فيها، وهو الذي طالما حرص على التمسك بأصالة حضارته، ويرفض استيراد أي شيء له صلة بالثقافة من الخارج.

وموقف الرفض هذا الذي تبناه الكثير من كتّاب العربية، كان نتيجة دراسة وتمحيص لأفكار هؤلاء المستشرقين كما يقول النقاد، وعليه كان له ما يبرره، ولعل من بين أقوى مبررات موقف الرفض هو أن: " الاستشراق بدراسته لعلوم المسلمين وإسهامه في الدراسات لم ينطلق من قاعدة علمية مجردة وموضوعية، بل إن هناك دوافع وأهدافاً غير علمية ساقت المستشرقين إلى هذا المجال خدمة لأغراض استعمارية وتنصيرية ودينية عامة وتجارية اقتصادية وسياسية، وعليه فإن الثقة مترعة من إسهامات هؤلاء "[2]، وبالتالي غلب على جل دراساتهم طابع التعصب، ولاسيما الديني والسياسي منه، فكان تفسيرهم للحقائق وفق مشروع أغراضهم التي يسعون إلى تحقيقها.

ويوضح " حسن الميداني " سبب الموقف العربي المعارض للمستشرقين، حين راح يؤكد أن: " هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم فكرة معينة يريدون تصيد الأدلة لإثباتها، وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهمهم صحتها بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيراً ما يستنبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية، ومن هنا يقعون في مفارقات عجيبة "[3]، وهذا باعتبار أن جل بحوثهم تكون فيها نية مسبقة، بغية التوصل إلى نتائج معينة تخدم مصالحهم

[1] _ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مرجع سابق، ص25.

[2] _ علي بن إبراهيم الحمد النملة، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص 211، 212.

[3] _ عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، مرجع سابق، ص143.

الشخصية، وهذا ما جعل أصحاب الرفض يؤكدون على أن: " الاستشراق عاجز عن استيعاب روح الأدب العربي وبيان الفصحى، وأنه يخضع للغرض والهوى والهدف المسبق "[1]، وعليه تكون النتيجة عندهم أولاً ثم الاستدلال لها ثانيًا.

والحديث عن الموقف المعارض للحركة الاستشراقية، لا يخلو ذكره دون ذكر علم من أعلامه، كما يقول أهل الاختصاص، ألا وهو " محمود محمد شاكر "، والذي يراه الكثير من النقاد أحد أعمدة الرفض للفكر الاستشراقي، وذلك من خلال كتاباته القيمة في هذا المجال، حيث سخر جلها لمواجهة الاستشراق والغزو الفكري الغربي، وهذا خدمة ودفاعًا عن الأمة العربية الإسلامية، وهو الذي افتتح كتابه " أباطيل وأسمار "، بقوله أن الغرض منه هو: " الدفاع عن أمةٍ برمَّتها، هي أمتي العربية الإسلامية. وجعلت طريقي أن أهتك الأستارَ المُسْدَلةَ التي عَمِلَ من ورائها رجالٌ فيما خَلاَ من الزمان، ورجالٌ آخرون قد ورثوهُمْ في زماننا. وهُمُّهم جميعًا كان : أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كُلَّ الغَلبةِ على عقولنا، وعلى مجتمعنا، وعلى حياتنا، وعلى ثقافتنا، وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم الذي بناه آباؤنا في قرون متطاولة، وصحَّحوا به فسادَ الحياة البشرية في نواحيها الإنسانية، والأدبية، والأخلاقية، والعمليَّة، والعِلميَّة، والفكرية، وردوها إلى طريق مستقيم.علم ذلك مَنْ عَلِمه، وجَهِله من جَهِله "[2].

و" محمود شاكر " في كتابه تناول عديد القضايا التي لها صلة بالاستشراق، كالرد على دعاة التغريب مثل لويس عوض وأستاذه سلامة موسى، وغيرهم من دعاة التغريب، وكذا الدعوة إلى العامية وتاريخها، وعديد القضايا التي واجهها العرب في العصر الحديث، مؤكداً على أن: " المنبعَ الذي تدفّق مِنْه هذه القضايا على عالمنا العربي والإسلامي، منبعٌ واحدٌ، إن شئت أن تُسمّيه « الاستعمار » أصبت، وإن شئت أن تُسمّيه « التبشير » أصبت، وإن شئت أن تُسمّيه « الاستشراق

[1] _ أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص245.

[2] _ محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، مرجع سابق، ص07.

» أصبت، لأن هذه الثلاثة أسماءٌ متباينة لحقيقة واحدة "[1]، لأن هذه الأسماء الثلاثة تخدم مصلحة واحدة، وغاية واحدة، ولذا سماها أحد النقاد بأجنحة المكر الثلاثة.

وهذا الموقف الرافض من " محمود شاكر "، جاء نتيجة تمذهب بعض أدباء العرب المحدثين بفكر هؤلاء المستشرقين، حيث رأى " محمود شاكر " أنه لا يليق هذا التوجه بأديب عربي مسلم، له من التراث العربي ما يغنيه عن هذا: " وكيف يليق إذا كان منطلق هؤلاء المستعمرين والمبشرين والمستشرقين في الاستنباط مخالفاً للعقل تمامًا "[2]، ولذا كان موقف " محمود شاكر " موقفا معارضا لأفكار هؤلاء المستشرقين، بل حث على مواجهتهم جميعا، كما يوضح ذلك " أحمد سمايلوفش " نقلا عنه، وسواء تعلق الأمر بالمستشرقين أو أتباعهم داخل الوطن العربي، ودون استثناء، حيث أكد على أن هذا الصدام، سيخيرنا بين إحدى اثنتين: " إمّا أن نستبسل، فتكون لنا غلبة أهل الحق على شيعة الباطل، وإمّا أن نفشل ونتنازع فيما بيننا فتذهب ريحنا كما ذهبت رياح أمم من قبلنا، قضى عليهم الفشل والتنازع "[3].

ومن نقاد العرب الذي يراه الكثير من المتخصصين رائد من رواد الرفض للحركة الاستشراقية " أنور الجندي "، والذي سخر جُل كتاباته للرد على المستشرقين ودحض شبهاتهم، هم وأتباعهم من دعاة التغريب داخل الوطن العربي، حيث يرى المُطلع على: " دراساته المتعددة يراها سلسلة محكمة العرى تتبع إحداها الأخرى تتبعًا منطقيًّا ومنهجيًّا على حد سواء. ويشعر المرء أنه يحاول بجهد وإخلاص وصبر أن يحصي القضايا التي أثارها الاستشراق إحصاء ويحيط بها إحاطة تكاد تكون كاملة متتبعًا ميلادها وتطورها وخطرها ومتناولاً أصحابها من المستشرقين والمبشرين بالنقد والغربلة والتفنيد، ودارساً المتأثرين بهم من علماء العرب والمسلمين مبينًا تأثرهم وضعفهم وهدفهم مواجهاً إياهم بأساتذتهم مواجهة صريحة لا مواربة فيها "[4].

---

[1] _ محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، المرجع السابق، ص215.

[2] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص701.

[3] _ المرجع نفسه، ص701، 702.

[4] _ المرجع نفسه، ص702.

والحديث عن " أنور الجندي "ومواجهته للاستشراق وأتباعه داخل الوطن العربي، يتبين بوضوح من خلال مؤلفاته الكثيرة التي تصب في خانة هذا الاتجاه، ففي بحثنا هذا قد تطرقنا من ناحية الاستدلال بأقواله لمجموعة من كتبه، نذكر منها على سبيل الذكر : خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، تاريخ الغزو الفكري والتغريب، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، محاكمة فكر طه حسين، التيارات الوافدة، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، وكتب أخرى له مثل : معالم الفكر العربي المعاصر، المساجلات والمعارك الأدبية، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، وغيرها من الكتب الكثيرة التي تصب في هذا المجال، رداً على هؤلاء المستشرقين.

والمتتبع لأبحاثه المختلفة يرى: " أنه قد كرس حياته كلها للدفاع عن الإسلام والأمة والفكر والثقافة والأدب "[1]، وكل هذا الكم الهائل من الكتب التي جندها " أنور الجندي "، كانت بهدف أن: " يتناول بالتفصيل والنقد والتمحيص تحديات الاستعمار ومعركة الفكر الإسلامي بين المقاومة والتمدد والدفاع ورد الفعل، وحركات التغريب والاستشراق والتبشير، وحملات الغرب على الإسلام والعروبة والفكر، ومحاولات فولتير، وكرومر، وليوتي، ولافيجري، ودنلوب، ورينان، ودار كور، وهانوتو، وزويمر، ومرجليوث، ولويس، ولامنسوفتسنك، وجولد زيهر، منبهاً في أثناء ذلك إلى الشبهات التي أثيرت حول النبي عليه الصلاة والسلام والفكر العربي الإسلامي والسنة النبوية والتمدن والقرآن الكريم واللغة العربية والأدب العربي "[2].

ولأجل هذا كله، قد عدّه العلماء المتخصصين موسوعة من موسوعات الرد على المستشرقين، وهناك أقلام أخرى كثيرة سُخرت لمواجهة الحركة الاستشراقية والرد على شبهاتها، غير أننا في هذا المقام نكتفي بذكر هؤلاء الذين ذكرناهم آنفا، تماشياً مع متطلبات البحث ومنهجيته.

[1] _ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص702.

[2] _ المرجع نفسه، ص703.

ولعل ما يمكن استخلاصه من الموقف العربي المعارض للحركة الاستشراقية، هو أن هذا الموقف قد تخندق وراءه السواد الأعظم من كتّاب ومثقفي العرب، الذين سخروا أقلامهم وأفكارهم للوقوف في وجه الحركة الاستشراقية، وكل ما أثارته من شبهات في العالم العربي الإسلامي، ولاسيما ما تعلق بجانب اللغة الفصحى وأدبها العربي، حيث عالج هؤلاء المثقفين العرب العديد من القضايا بالفحص والتمحيص، متتبعين في ذلك كما يقول النقاد، أدلة تمتاز بالموضوعية والدقة، في الرد على هؤلاء المستشرقين، وحتى على أتباعهم من دعاة التغريب داخل الوطن العربي، وقد تصدر هذا الموقف كما رأينا آنفا، نخبة معروفة على الساحة الأدبية العربية، من أمثال : " مالك بن نبي "، " مصطفى السباعي "، " محمود محمد شاكر "، " أنور الجندي "، وغيرهم كثير من أصحاب الموقف المعارض الذين وقفوا في وجه الغزو الثقافي، حاثين في ذلك المجتمعات العربية الإسلامية، إلى الرجوع والتمسك بمنبع تراثهم العربي الإسلامي الفريد الذي يعيد لهم حريتهم المعهودة، واستقلالهم التام.

3 : الموقف العربي المنصف للحركة الاستشراقية :

إن الحركة الاستشراقية لم تشغل أصحاب الموقف المؤيد والمعارض فقط، بل كان فريق آخر قد تتبع هو بدوره هذه الحركة الوافدة على الحضارة العربية الإسلامية، ألا وهو الموقف العربي المنصف للحركة الاستشراقية، وعليه لم تكن نظرة مفكري العرب والمسلمين محصورة فقط بين الموقفين المؤيد والمعارض، بل كان للموقف المنصف ما يقوله في هذا المجال، حيث مثل هذه الفئة ثلة من كتّاب العربية، والتي: " اعتدلتْ في أقوالها، وتجرّدتْ في أحكامها، وأصدرت آرائها عن تعقل ودراية "[1]، أي أنها تجردت من الذاتية، واتبعت الموضوعية في إصدار آرائها حول الفكر الاستشراقي، وعليه قد وصف هذا الموقف، بأنه موقف قائم على: " الدراسة والبحث والغوص في إسهامات المستشرقين والتعرف على مواطن الضعف في هذه الإسهامات مع معرفة تامة بمواطن القوة في الإسلام، والانطلاق بأن كل ما جاء به الإسلام، فهو حق لا تزعزعه الأهواء ولا الآراء

[1] _ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص81، 82.

الشاذة التي لم يخل منها المجتمع المسلم سواء جاءت هذه الآراء من أبناء المسلمين أو جاءت من أولئك الخارجيين "[1].

والموقف المنصف كما يقول النقاد، هو في الحقيقة موقف ذهب إلى ما ذهب إليه أصحاب الموقف المعارض، غير أن هذه الفئة، ــ المنصفين ــ تختلف عن الموقف المعارض في كونها: " تأخذ هذه المجموعة من الإسهامات وتعرف خلفيتها ومنطلقها فتدرسها ثم ترد عليها وتوضح للآخرين مواقع الخطأ فيها وتبرز لهم مواطن الضعف وأسباب هذا الضعف ودوافعه "[2]، ومن أجل تبرير موقفهم هذا، أي الموقف المنصف، فقد اتخذت هذه الفئة حجة أن: " كتابات المستشرقين اليوم قد عمّت وصار لها وجود ولها رواد وقراء ومفكرون ومصدقون، فهي لم تقف عند إسهامات فردية من مجموعة من علماء الغرب، ولكنها إسهامات جماعية وفردية في آن واحد تدعمها مؤسسات علمية كبرى كالجامعات والهيئات العلمية الكبرى "[3].

والموقف المنصف، أو موقف المواجهة كما يسميه بعض النقاد، هو في الحقيقة موقف يختلف عن الموقف الأول المؤيد، وكذلك عن الموقف الثاني المعارض، لأنه موقف أخذ على عاتقه المواجهة، والمواجهة تعني أن: " هناك اختلافًا في أمر من الأمور التي تحتاج إلى مواجهة، مما يدل على أن هذا الفريق لا يقر المستشرقين إقرارًا تامًا، فيقبل ما يجيئون به قبولاً غير مشروط كأصحاب الموقف الأول، ولا هو يرفض جميع ما جاء به المستشرقون رفضًا تامًا دون عناء النظر في هذه الإسهامات مثل معظم أصحاب الموقف الثاني "[4].

ومن أمثلة المواقف المنصفة تجاه الفكر الاستشراقي، نجد على سبيل الذكر " بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن "، والتي: " اعترفتْ بجليل عملهم، ونبْل صنيعهم في مادة التراث، التي انكبَّ رجال الاستشراق على ثروتها الثقافيّة، وجهدوا في صوْنها من الضياع، وجمْعها في مصنَّفاتٍ

[1] ــ علي بن إبراهيم الحمد النملة، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص223.

[2] ــ علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط01، الرياض، 1414ه، 1993م، ص107.

[3] ــ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] ــ علي بن إبراهيم الحمد النملة، الاستشراق والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص223.

وأبوابٍ متخصّصة، وعملوا على فهرسة موضوعاتها، فهرسة علميّة دقيقة، اعتمدت على منهج بحثيّ متقدم، وفّرت أمانة التحقيق، وأصول الكتابة الموثقة "[1]، ولكن هذا الاعتراف بجميل المستشرقين وإنتاجهم الثقافي المذكور من قبل " بنت الشاطئ "، لم يمنعها في المقابل من أن تفصح وتبين أخطاء وأخطار هؤلاء المستشرقين، حيث أشارت إلى السلبيات التي تعتري الفكر الاستشراقي، وهو ما جعلها تعترف بأن: " الاستشراق استهدف في نشأته الأولى، خدمة النفوذ الديني، وتحقيق الأطماع السياسيّة والاستعماريّة، وأكدت أن ما رووه من التواء في أساليب الكتابة، والاضطراب في الأخبار التاريخيّة، والاعتساف في تأويل النصوص، يعود إلى عدم تذوّقهم اللغة العربيّة، وإدراك أسرارها في الأداء والتعبير، وإلى ما تعوزهم التراهةُ والإخلاص "[2].

وقد ألحت" بنت الشاطئ " في السياق نفسه، على أنه: " لا يجوز بعد اليوم، أن يبقى هذا التراثُ في الأيدي الأجنبيّة، وأن نتخلّى عن تراث نحن أهلهُ وأصحابه، لسوانا من الغرباء، يفعلون به ما يحلو لهم، وينفثون لغتَه الحقد والكراهية، وأنّه يدفع بالتالي العديد من مفكّري العرب وباحثيهم، للتصدّي لمكائد المستشرقين وأحابيلهم "[3]، أي لابد من المواجهة الإيجابية، وموقف المواجهة يفرض الاعتراف بما للمستشرقين وما عليهم، أي أن الفكر الاستشراقي: " يشتمل على عناصر سلبية وأخرى إيجابية، وعلينا أن نعترف للمستشرقين بمالهم من إيجابيات، ومن ناحية أخرى فإنه من حقنا بل من واجبنا، أن ننبه إلى ما وقعوا فيه من أخطاء، وما اشتملت عليه دراسات العديد منهم من أباطيل "[4]. أي أنه يجب على دارس الفكر الاستشراقي تتبع الموضوعية، بحيث يضع ما هو إيجابي في خانة العناصر الإيجابية، وما هو سلبي في خانة العناصر السلبية.

ويرى النقاد أن التمييز بين ما هو إيجابي وما هو سلبي في دراسات المستشرقين صعب تتبعه، وهذا باعتبار تلون أصحابه من موقف لآخر، أي أن المادح من المستشرقين اليوم للحضارة الشرقية، هو نفسه الذام لها غدًا، غير أن هناك عناصر إيجابية قد أجمع عليها الكثير من علماء

[1]_ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص82.

[2]_ المرجع نفسه، ص83.

[3]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]_ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص12، 13.

العرب، والتي: " تتمثل في العناية بالمخطوطات العربية في المكتبات الغربية، وفهرستها، وتحقيق العديد من أمهات الكتب العربية في شتى مجالات الفكر الإسلامي، والقيام بالعديد من الدراسات اللغوية المفيدة والموسوعات والمعاجم النافعة، وغير ذلك من دراسات في مجالات العلوم والفنون الإسلامية "[1]، والتي استفادت منها رفوف المكتبات الإسلامية.

ومن نقاد العرب الذين وقفوا موقفا منصفا، ومواجها في الوقت نفسه، نجد الدكتور " محمد روحي فيصل "، حيث أبدى رأيا: " معتدلاً من الاستشراق، وتحفّظَ إزاء بعض طروحه، وتعاملَ بدقّة مع موضوعاته، واعترف بأنّه لا يؤخذ بكثير من أعمالهم، وانتقد منتوجَهم الفكري، ودعا إلى الثوابتِ العلميّة، وتحفّظَ أمام مَنْ أسرفَ في مديحه "[2]، كما ألح " محمد روحي فيصل " على ضرورة أخذ الحيطة والحذر في التعامل مع دراسات المستشرقين وتحليلاتهم، وهذا باعتبار لبس: " اللغة العربيّة عليهم، وعدم تذوّق آدابها "[3].

وعلى العموم فإن هذا الموقف _ المنصف _ قد رأى النقاد أن أصحابه قد اتخذوا موقفاً معتدلاً: " ودعوا إلى التروّي وعدم الاستمرار في إساءة الظنّ بجميع المستشرقين، وأخْذِ البريء بذنب الجاني، خاصة وأنّ فريقاً من كبار علماء الغرب ومفكّريهم قدّموا دراسات قيّمةً، شرفت أعمالَهم، وخلّدتْ أسماءَهم، وسجّلتْ للعنصر العربي ودينه الحنيف، عظمتَه وجلالَه "[4]، أي أن هناك دراسات لبعض المستشرقين تمتاز بالموضوعية، وبالتالي كانت منصفة تجاه العنصر العربي الإسلامي في إصدار أحكامها، لأنها بكل بساطة قد امتازت بالعلمية وتجردت من الذاتية والتعصب، وبالتالي أفرزت: " طائفة معتدلةً منهم، وإنْ كانت قليلةَ العددِ، إزاء الكثرة المغرضة، خلُصَتْ في دراستها العلميّة، ونظرت إلى الأدب العربي، والتاريخ الإسلامي وعلومه المختلفة، نظرةً

[1] _ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، المرجع السابق، ص13.

[2] _ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص84.

[3] _ المرجع نفسه، ص85.

[4] _ المرجع نفسه، ص86.

نقديّةً مجرّدة "[1]، أي أن هناك فئة من المستشرقين على الرغم من قلّتها، إلا أن دراساتها كانت إيجابية.

ولعل ما يمكن استخلاصه من الموقف العربي المنصف للحركة الاستشراقية، أو موقف المواجهة كما يسميه بعض النقاد، أن هذا الأخير أخذ على عاتقه مواجهة الدراسات الاستشراقية، بما فيها من إيجابيات وسلبيات، حيث إنه قد رحب بكل ما هو إيجابي وأنصفه، بل ورغب فيه بغية الاستفادة منه، بعيدًا عن كل أمور ذاتية تحيل إلى التعصب، بمعنى أنه اتبع الطريقة العلميّة والموضوعية في التعامل مع هؤلاء المستشرقين.

وفي مقابل الترحيب بالإيجابيات والترغيب فيها، انتقد هذا الموقف كذلك كل ما هو سلبي مسيء للحضارة العربية الإسلامية، بل وحذر منه، وهذا من خلال توضيح الكثير من الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء المستشرقين، سواء عن قصد أو غير قصد، وبتعبير آخر فإن موقف المواجهة الإيجابية هو موقف معتدل، لا هو مؤيد دون شروط كما فعل أصحاب الموقف الأول، ولا هو معارض كما فعل أصحاب الموقف الثاني، فقالوا لمن أحسن من هؤلاء المستشرقين أحسنت، ولمن أساء منهم أسأت.

[1] ـ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المرجع السابق، ص86.

ملخص الفصل الثالث :

يتضح مما سبق ذكره في هذا الفصل أن الموقف العربي تجاه الحركة الاستشراقية، قد أخذ اتجاهات ثلاثة، تتباين وتتمايز فيما بينها من حيث معالجة كل فئة لدراسات هؤلاء المستشرقين، فمنهم من أيّد الدراسات الاستشراقية تأييدًا مطلقًا، وقبلها دون شروط، بل راح يمدحها ويُعد العدة لنشرها والترويج لها، وبذلك وقفوا موقف المنبهر من تلك الدراسات والآراء الاستشراقية، وهو الأمر الذي جعلهم أصحاب نظرة تبريرية اعتذارية لكل ما صدر عن هؤلاء الغربيين.

ومنهم من عارض تلك الدراسات الاستشراقية، ورأى فيها شرًا لا يمكن السكوت عنه، حتى ما صنف في خانة المدح والاعتدال، لأن قراءة ما بين سطور هذه الإيجابيات كما تسمى كفيل برفض كل ما صدر عن هؤلاء المستشرقين، لأنهم كما يقول التيار المعارض، مهما بلغوا من دراسات سواء كانت إيجابية أوسلبية، ما هي في الأخير إلا خدمة لمصالحهم ومصالح دولهم، وحضارتهم، ودينهم، وموقف الرفض أو المعارض هذا إنما صدر كما يقول النقاد، نتيجة ردة فعل منشؤها هؤلاء المؤيدين من العرب للحركة الاستشراقية، حيث شعر أصحاب الموقف المعارض بالتهديد القادم من هؤلاء المستشرقين، والذين وجدوا عونًا من بعض أفراد هذه الأمة، وبالتالي كان موقفهم دفاعًا عن الإسلام والمسلمين، ولغتهم، وأدبهم، وحضارتهم، وتراثهم.

بينما كان الموقف الثالث، وهو موقف الفئة المنصفة للحركة الاستشراقية، أو فئة المواجهة الإيجابية كما يحلو للبعض تسميتها، أنه موقف قد أخذ على عاتقه دراسة الفكر الاستشراقي، دراسة عميقة متأنية خاضعة للأعراف العلمية، ومعتمدة على الموضوعية في إصدار الأحكام، وهو ما جعل فئة المنصفين يقرون للحركة الاستشراقية بالعناصر الإيجابية، وهذا دون أن يغضوا الطرف عن العناصر السلبية المشبوهة، حيث حذروا منها وبينوا زيفها على طريقة الفئة الثانية المعارضة، وبالتالي كان موقفهم موقفًا معتدلاً من خلال ما بينوه من إيجابيات مقبولة، وسلبيات مرفوضة.

خاتمة

إذا كان خير الكلام ما قلّ ودل، فإن خير العمل ما حسن آخره، فختاما لمشوار هذا البحث حول موضوع **الرؤية الاستشراقية لمسألة الفصحى والعامية**، وبعد تتبعنا لما جاء في فصوله، نصل على بركة الله إلى أهم النتائج التي استنتجناها من هذا البحث والمتمثلة في :

أولا : الحركة الاستشراقية ليست وليدة اليوم، بل تمتد جذورها منذ القدم، وذلك من خلال الصراع الذي كان قائمًا ولا يزال إلى يوم الناس هذا بين الشرق والغرب، فالحركة الاستشراقية إذًا من التيارات الساخنة التي تناولت العالم الشرقي، ولاسيما العربي الإسلامي منه ظاهرا وباطنا.

والاستشراق كمصطلح لم يوجد قديما لكنه كممارسة كان موجودا، وهذا ما جعل الباحثين يتناولونه كمفهوم بنوعيه العام والخاص، حيث عنوا به كمفهوم عام على أنه تيار فكري غربي يقوم بالدراسات حول الثقافة الشرقية وخصوصا العربية الإسلامية، بينما عنوا به كمفهوم خاص أنه أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي بين ما يسمى الشرق وبين ما يسمى الغرب، وبالتالي أشار المفهوم الخاص إلى فكرة التمييز الذي يشير إلى التمركز وهو خطاب الهيمنة من طرف على آخر.

لقد كانت أهداف المستشرقين مختلفة ومتباينة، لكنها تتداخل مع بعضها البعض وتخدم بعضها البعض، وهذا كله تحت مظلة الطابع العلمي، ولكن هذا الطابع لم يخف نزعة التحامل على الدين الإسلامي الحنيف والنيل من رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وسنته السمحاء، وكذا تشويه التراث العربي الإسلامي، وذلك من خلال مجموعة من الادعاءات والافتراءات والشبهات والأقاصيص الكاذبة، خدمة لمصالح دولهم الغربية في المقام الأول، وهو الأمر الذي جعل اللغة العربية الفصحى تحتل مكانة مرموقة في ملفاتهم التي تناولوها حول الشرق الإسلامي، محاولين بذلك النيل من لغة القرآن والانتقاص من شأن الناطقين بها وعقليتهم.

ثانيا : تعتبر قضية الفصحى والعامية من أبرز القضايا التي تناولها المستشرقون، ولذا كانت الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة للعلم والأدب من أخطر الدعوات المسمومة، بل من أعظم الانقلابات التي تعرضت لها الأمة العربية الإسلامية، وذلك لما تحمله هذه الدعوة من سهام مسمومة تهدف إلى إحداث القطيعة

بين العربي المسلم ودينه، وتراثه المختلف من فنون وعلوم وآداب، فهي دعوة باطلة تستهدف هدم الدين والأخلاق، غير أن العربية الفصحى محمية ومحفوظة بحفظ كلام المنان.

وهذا الكلام لا يعني أن ننكر ما كان للحركة الاستشراقية من فضل على أدبنا العربي، حيث أسهم هؤلاء المستشرقون في خلق نهضة أدبية حديثة في الوطن العربي بعد الحركات الإصلاحية، وذلك من خلال نشرهم عددًا من المخطوطات والكتب القديمة بعد تحقيقها ومراجعتها، وعليه تحققت الكثير من المزايا التي أسهمت في النهضة الحديثة مثل ظهور الصحافة والطباعة والترجمة، وهو ما أدى إلى الانفتاح على الثقافة العالمية والكنوز المعرفية والرؤى الفكرية.

ثالثا : بمواجهة العرب للحركة الاستشراقية تتبين المكانة التي أوجدها المستشرقون لأنفسهم داخل الحركة الفكرية العربية الإسلامية، وذلك من خلال مواجهة النخب العربية المثقفة للفكر الاستشراقي فيما بين أنفسهم وتأثرهم به، وهو الأمر الذي يحتم الاعتراف بأثر الاستشراق وفضله وخطره على السواء، وهو ما تمخض عنه ظهور ثلاثة اتجاهات رئيسية في مواجهة العرب للحركة الاستشراقية.

* لقد استطاعت الحركة الاستشراقية كسب ودّ الكثير من مثقفي العرب، الذين نهجوا نهج أساتذتهم المستشرقين، حيث تأثرت عقليات هؤلاء النخب العربية بالعقل الغربي وحذو حذوهم في الدراسة والتحليل، بل وصل بهم الأمر إلى حد تفضيل أعمال وأفكار هؤلاء الغربيين وتراثهم على حساب تراث الأمة العربية وفكر مثقفيها، وهو ما نتج عنه اتهام العقلية العربية بالجمود والكسل وكذا ظهور منهج الشك، من قبل " الشابي " و " طه حسين " على التوالي، وهي أفكار نادى بها قبلهم كل من " رينان " و " مرجليوث " على التوالي، وهو موقف سمي بالموقف المؤيد للحركة الاستشراقية.

* وهذا التأييد غير المشروط الذي أوجده المستشرقون لأنفسهم داخل الوطن العربي، نجم عنه ظهور تيار الرفض المطلق لأفكار الحركة الاستشراقية وأتباعها من دعاة التغريب داخل قلب الأمة العربية، وهو الأمر الذي حتم على السواد الأعظم من أبناء الأمة القرآنية أن يتخندقوا وراء هذا الموقف المعارض، مسخرين بذلك أفكارهم وأقلامهم للوقوف في وجه الحركة الاستشراقية وأفكارها

المتطرفة، وكل من حذا حذوها من أبناء لغة الضاد، داحضين كل ما أثير من شبهات حول العالم العربي الإسلامي، لاسيما ما تعلق بجانب اللغة العربية الفصحى وآدابها.

* وظهور هذين التيارين ــ المتعارضين ــ على الساحة الأدبية العربية أسفر عن ميلاد تيار ثالث، ألا وهو تيار المواجهة الإيجابية أو الموقف المنصف كما يسميه البعض، والذي حمل على عاتقه مواجهة الدراسات الاستشراقية بما فيها من إيجابيات وسلبيات، حيث إنه رحب بما رآه إيجابيا ورغب فيه بغية الاستفادة منه، وفي المقابل انتقد ما هو سلبي وراح يحذر منه وذلك من خلال توضيح الكثير من الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء المستشرقون سواء عن قصد أو غير قصد.

وخاتمة الخاتمة يمكن القول أن العالم الغربي قد أقام نهضته الأدبية الحديثة ــ بالإضافة إلى ما أخذه من الحضارة العربية الإسلامية ــ على الاتكاء على التراث اليوناني والروماني وغيرها من الآداب الغربية القديمة، بل لازال إلى يوم الناس هذا يغرف منها، فلم لا وقد أصاب الأمة العربية الإسلامية داء التقليد والولع بكل ما هو آت من وراء البحار، أن نقلدهم في تجربتهم هذه وذلك من خلال كشف النقاب عن تراثنا العظيم بغية الاستفادة منه وتحقيق الهدف المنشود، علما أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وصلاح أول هذه الأمة شيء ضربت به الأمثال، وقدمت عليه البراهين، وقام غائبه مقام العيان، وخلدته بطون التاريخ، واعترف به الموافق والمخالف، ولهج به الراضي والساخط، وسجلته الأرض والسماء... كما قال أسد اللغة الفصحى " **البشير الإبراهيمي** ".

نأمل أن نكون قد وفينا هذا الموضوع حقه، فإن أصبنا فمن الله وحده، وأن أخطأنا فمن أنفسنا، وحسبي الله ونعم الوكيل.

مكتبة البحث

*** القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

*** قائمة المصادر والمراجع**

أ: المصادر

- ✓ **أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا**

1. معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، ط01، بيروت _ لبنان، 1422ه، 2001م.

- ✓ **أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور.**

2. لسان العرب، مج10، دار صادر، بيروت،دت.

- ✓ **أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري**

3. تهذيب اللغة، ج01، تح: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط، دت.

- ✓ **الخليل بن أحمد الفراهيدي**

4. كتاب العين، ج02، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت _ لبنان، 1424ه، 2003م.

- ✓ **عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير**

5. تفسير ابن كثير، ج02، دار الإمام مالك، ط02، باب الوادي _ الجزائر، 1430ه، 2009م.

- ✓ **مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي**

6. القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، دط، القاهرة، 1429ه، 2008م،

- ✓ **محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري**

7. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ج01، دار البيان الحديثة، ط01، القاهرة، 1423ه، 2003م.

ب: المراجع

- ✓ **إبراهيم أنيس**

8. في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، القاهرة، 2003م.

- ✓ **أبو القاسم الشابي**

9. الخيال الشعري عند العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، القاهرة _ مصر، 2012م.

- ✓ **أبو الحسن علي الحسني الندوي**

10. مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقون، إعداد: سيد عبد الماجد الخوري، دار ابن كثير، ط01، بيروت، 1423ه، 2002م.

- ✓ **أحمد الإسكندري وآخرون**

11. المفصّل في تاريخ الأدب العربي، ج02، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، 1936م.

- ✓ **أحمد حسن الزيات**

12. تاريخ الأدب العربي (للمدارس الثانوية والعليا)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، دط، الفجالة _ مصر، دت.

- ✓ **أحمد سمايلوفتش**

13. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1418ه، 1998م.

- ✓ **أحمد مختار عمر**

14. معجم اللغة العربية المعاصرة، مج01، عالم الكتب نشر، توزيع، طباعة، ط01، القاهرة، 1429ه، 2008م.

✓ **إدوار سعيد**

15. الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط01، القاهرة، 2006م.

✓ **إسماعيل أحمد عمايرة**

16. بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، ط01، عمان، 1417ه، 1996م.

✓ **إسماعيل علي محمد**

17. الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط06، القاهرة _ مصر، 1436ه، 2014م.

✓ **إميل بديع يعقوب**

18. فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، ط01، بيروت _ لبنان، 1982م.

✓ **أنور الجندي**

19. إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، دط، شبرا _ مصر، 1985م.

20. التيارات الوافدة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط01، القاهرة، 1414ه، 1994م.

21. أهداف التغريب في العالم الإسلامي، مطابع روز اليوسف، دط، القاهرة، دت.

22. تاريخ الغزو الفكري والتغريب (خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين 1920 _ 1940)، دار العلوم للطباعة، دط، القاهرة، 1988م.

23. خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الكتاب اللبناني، ط02، بيروت _ لبنان، 1985م.

24. محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام، دط، 1404ه.

✓ **بنسالم حمِّيش**

25. العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، دار الشروق، ط01، القاهرة _ مصر، 2011م.

✓ **حسن حنفي**

26. التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط04، بيروت _ لبنان، 1412ه، 1992م.

✓ **رمضان عبد التواب**

27. فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط06، القاهرة، 1420ه، 1999م.

✓ **صفي الرحمن المباركفوري**

28. الرحيق المختوم، دار الفكر، ط01، بيروت _ لبنان، 1424ه، 2003م.

✓ **طه حسين**

29. في الأدب الجاهلي مطبعة فاروق، ط02، القاهرة، 1352ه، 1933م.

✓ **عبد الرحمن بن ناصر السعدي**

30. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم، ط01، بيروت _ لبنان، 1424ه، 2003م.

✓ **عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني**

31. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، دار القلم، ط08، دمشق، 1420ه، 2000م.

✓ **عبد اللطيف شِرَارَه**

32. معارك أدبية قديمة ومعاصرة، دار العلم للملايين، ط01، بيروت _ لبنان، 1984م.

✓ **عبد الله ركيبي**

33. الفرانكفونية مشرقاً ومغرباً، دار الكتاب العربي، دط، القبة _ الجزائر، 2009م.

✓ **عبد المتعال محمد الجبري**

34. الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، ط01، القاهرة، 1416ه، 1995م.

✓ **عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي**

35. اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط01، الرياض _ المملكة العربية السعودية، 1429ه، 2008م.

✓ **علي بن إبراهيم الحمد النملة**

36. الاستشراق والدراسات الإسلامية، مكتبة التوبة، ط01، الرياض _ المملكة العربية السعودية، 1418ه، 1998م.

✓ **علي بن إبراهيم النملة**

37. الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط01، الرياض، 1414ه، 1993م.

✓ **علي حسن الخربوطلي**

38. المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 1988.

✓ **عمّار الطالبي**

39. آثار ابن باديس، مج01، الشركة الجزائرية، ط01، الجزائر، 1388ه، 1968م.

✓ **فاطمة هدى نجا**

40. نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، ط01، طرابلس _ لبنان، 1413ه، 1993م.

✓ **قاسم السامرائي**

41. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط01، الرياض، 1403ه _ 1983م.

✓ **كمال خير بك**

42. حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط02، بيروت _ لبنان، 1406ه، 1986م.

✓ **مالك بن نبي**

43. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، بيروت، 1388ه، 1969م.

✓ **محمد أسعد النادري**

44. فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، دط، بيروت _ لبنان، 1430ه، 2009م.

✓ **محمد حامد الفقي**

45. أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، مطبعة النهضة، دط، القاهرة، 1354ه.

✓ **محمد خليفة حسن أحمد**

46. آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط01، القاهرة، 1997م.

✓ **محمد عابد الجابري**

47. بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط09، بيروت _ لبنان، 2009م.

✓ **محمد فاروق النبهان**

48. الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة _ إيسيسكو _ دط، الرباط _ المملكة المغربية، 1433ه، 2012م.

✓ **محمد كرّو أبو القاسم**

49. الشابي حياته _ شعره، منشورات المكتبة العلميّة ومطبعتها، ط02، بيروت، 1954م.

✓ **محمود حمدي زقزوق**

50. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، دط، القاهرة، دت.

✓ **محمود محمد شاكر**

51. أباطيل وأسمار، ج01، 02، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط، مصر، 1391ه، 1972م.

52. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 1997م.

✓ **مسعد بن عيد العطوي**

53. الأدب العربي الحديث، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط01، تبوك، 1430ه، 2009م.

✓ **مصطفى السباعي**

54. الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، دار الوراق للنشر والتوزيع، دط، دت

✓ **مصطفي خالدي وعمر فرّوخ**

55. التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، ط05، صيدا _ بيروت، 1973م.

✓ **منذر معاليقي**

56. الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، ط01، بيروت، 1418ه، 1997م.

✓ **نفوسة زكريا سعيد**

57. تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار الثقافة بالإسكندرية، ط01، 1383ه، 1964م.

ج: الكتب المترجمة

✓ **رودي بارت**

58. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 2011م.

✓ **ضياء الدين ساردار**

59. الاستشراق (صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية)، تر: فخري صالح، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة)، ط01، أبوظبي، 1433ه، 2012م.

✓ **ماكس فانتاجو**

60. المعجزة العربية، تر: رمضان لاوند، دار العلم للملايين، ط02، بيروت، 1981م.

د: المجلات

✓ **صالح الدين ملفوف**

61. من قضايا الأدب العربي الحديث في الاستشراق المعاصر، مجلة إشكالات، العدد02، ماي 2013م.

فهرس المحتويات

البسملة

كلمة لابد منها

الإهداء

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: الاستشراق، مفهومه، مساره، دوافعه، وموضوعاته

توطئة..... 02

1_ مفهوم الاستشراق..... 03

1. 1 لغة..... 03

1. 2 الاستشراق اصطلاحا 05

2. 1 المفهوم العام للاستشراق 05

1. 1 عند نقاد العرب..... 05

1. 2 عند نقاد الغرب..... 08

2. 2 المفهوم الخاص للاستشراق 09

2. 3 مفهوم المستشرق 12

2_ الاستشراق من الإرهاصات إلى الاكتمال..... 14

2. 1 نشأة الاستشراق 14

1. 1 الرأي الأول..... 15

1. 2 الرأي الثاني 15

1. 3 الرأي الثالث..... 16

1. 4 الرأي الرابع..... 16

1. 5 الرأي الخامس.....17
2. 2 آراء نقاد العرب حول مسارات الاستشراق.....17
2. 3 آراء نقاد الغرب في مسارات الاستشراق.....19
2. 4 مراحل الاستشراق.....20
4. 1 مرحلة التكوين.....20
4. 2 مرحلة التقدم.....21
4. 3 مرحلة الانطلاق.....22
3. دوافع الاستشراق 23
3. 1 الدافع الديني 24
3. 2 الدافع السياسي الاستعماري.....27
3. 3 الدافع الاقتصادي.....28
3. 4 الدافع العلمي 29
3. 5 الدافع الثقافي.....31
4. مواضيع الدراسات الاستشراقية.....35
5. ملخص الفصل الأول.....39

الفصل الثاني: الفصحى والعامية في الأدب العربي الحديث من منظور استشراقي

توطئة 41

1. مسألة الفصحى والعامية 42
1. 1 مفهوم الفصحى.....42

أ. لغة.....42
ب. اصطلاحا.....43
1. 2 مفهوم العامية.....45
أ. لغة.....45
ب. اصطلاحا.....46
2. تاريخ الدعوة إلى العامية.....47
3. أثر الاستشراق في الأدب العربي الحديث.....54
3. 1 النهضة الأدبية العربية الحديثة وعواملها.....54
3. 2 الحركة الإصلاحية في الجزائر ودورها في النهضة الحديثة.....58
3. 3 الاستشراق ودوره في النهضة العربية الحديثة.....60
3. 4 اللغة العربية في ملف المستشرقين.....62
3. 5 الأدب العربي الحديث في ملف المستشرقين.....68
4. ملخص الفصل الثاني.....81

الفصل الثالث: الموقف العربي من الحركة الاستشراقية

توطئة.....83

تباين المواقف العربية.....84
1. الموقف العربي المؤيد للحركة الاستشراقية.....86
1. 1 التشكيك في العقلية العربية.....87
1. 2 منهج الشك.....98

1. 3 الصحافة العربية منبر لتمرير رسائل المستشرقين ومدحهم.....103

1. 4 حركة الرفض في الأدب العربي الحديث.....110

2. الموقف العربي المعارض للحركة الاستشراقية 114

3. الموقف العربي المنصف للحركة الاستشراقية.....121

4. ملخص الفصل الثالث 126

خاتمة.....128

مكتبة البحث 132

فهرس المحتويات 141

الملخص:

كانت هذه الدراسة محاولة مختصرة لعرض علاقة الاستشراق بالثقافة الشرقية، ولا سيما العربية الإسلامية منها، وذلك من خلال التطرق لمسألة الفصحى والعامية من المنظور الاستشراقي، وما كان لهذه الدعوة من آثار على الساحة الثقافية عامة والأدبية خاصة، إذ تعد قضية العامية من أهم القضايا التي شغلت ولا تزال تشغل العالم العربي منذ القدم.

والدعوة إلى اتخاذ العامية لغة للعلم والأدب التي نادى بها المستشرقون وتبعهم فيها دعاة التغريب، كان لها صدى على الساحة الأدبية العربية، فمن خلال هذه الدعوة الباطلة وغيرها استطاع الاستشراق أن يجد لنفسه مكانة داخل الحركة الفكرية العربية الإسلامية، وذلك من خلال مواجهة النخب العربية المثقفة للفكر الاستشراقي فيما بين أنفسهم وتأثرهم به.

وهذا الأمر تمخض عنه ظهور ثلاثة اتجاهات رئيسية في مواجهة العرب للحركة الاستشراقية، حيث حتم الأمر الاعتراف بأثر الاستشراق وفضله وخطره على السواء.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، المستشرق، الشرق، الفصحى، العامية، الأدب

Résumé :

La présente étude consiste en un succinct essai de corréler l'orientalisme avec la culture orientale, notamment celui se rapportant à la civilisation arabo musulmane et ce en focalisant sur la problématique de leur stratagème à généraliser l'intégration le dialecte populaire comme étant un substitut à la langue littéraire académique.

Il était dès lors judicieux de mettre en exergue la dissemblance entre les prises de position des penseurs arabes dont nous avons recueillis trois courants : les adeptes de la pensée orientaliste, les réfractaires et les modérés.

Mots clés :

Orientalisme, orient, arabe académique, dialecte, littérature.